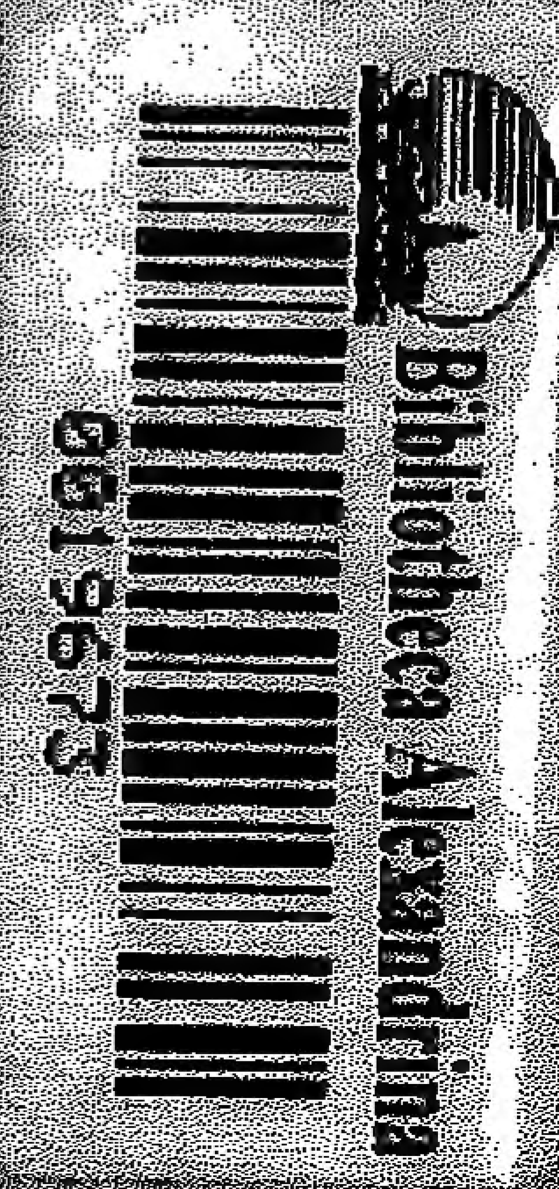
مريم سلامة - كار

الترجمة في العصر العباسي

دراسة حنين بن إسحق وأهميتها في الترجمة

ترجمة
د. نجيب غزاوي





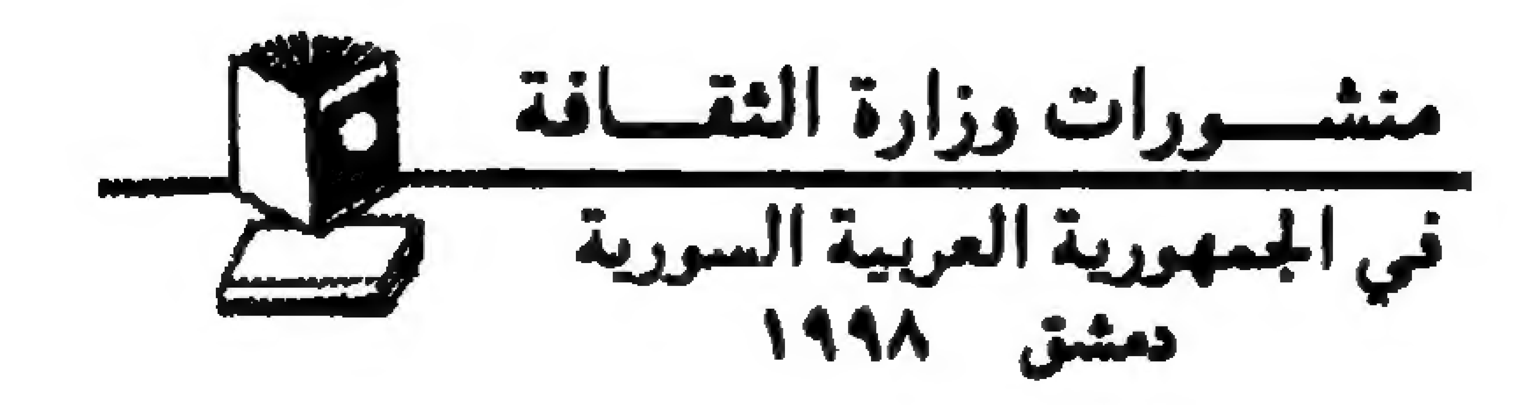
الإشراف الفني : زهير الحمو

مـــريم سـلامة ـ كار

الترجمة في العصر العباسي

مَدرَسة حنين بن إسحٰق وأهميّتها في الترجمة

تـــرجـمـة
د . نجيب غزاوي



العنوان الأصلي للكتاب :

Myriam SALAMA - CARR

LA TRADUCTION A L' ÉPOQUE ABBASSIDE

الترجمة في العصر العباسي: مدرسة حنين بن إسحق وأهميتها في الترجمة = La Traduction al'epogue abbasside / مريم سلامة كار ؛ ترجمة نجيب غزاوي . ـ دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٨ . ـ ١٠٣ ص ؛ ٢٤ سم . ـ (دراسات نقدية عربية ؛ ٢٢) .

١ ـ ٨١٠٢ ،٤١٨ ك ا ر ب ٢ ـ العنوان ٣ ـ العنوان الموازي

٤ ـ كار ٥ ـ غزاوي ٦ ـ السلسلة .

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع ـ ٦٠٠ /٤/١٩٩٨

دراسات نقدية عربية

« ٢٢ »

مقـــدمـة

إن المشكلات العامة التي تثيرها الترجمات هي دوماً دقيقة للغاية حتى حين تنتمي اللغات المترجمة الى انظمة لسانية وثقافات متقاربة مثل اللغتين اليونانية واللاتينية أو مثل لغاتنا الأوربية الحديثة ، فما القول حين تكون الثقافات متعارضة بطبيعتها أو بدرجة تطورها . غير أن العربية لغة سامية واليونانية لغة هندواوربية ونحوهما وصيغ التعبير فيهما مختلفة جداً ، ومن الصعب ، بل من المستحيل احياناً أن نطابق بينهما . ومن جهة أخرى ، فإن مفردات اللغتين غير متطابقة . لقد تعرفنا على اللغة العربية الشمالية في عصور الجاهلية من خلال الشعر الذي أثارت مسألة قدمه نقاشات بين العلماء . وتظهر النصوص التي نملكها من هذا الشعر غنى كبيراً بالصور الحسية وبالنعوت قوية التعبير التي لابد أن تكون قد اثرت بعمق في القرّاء ، أو المستمعين المنغمسين في المحيط المادي والاجتماعي الذي اوحى بهذه الصور والتعابير . أما لغة القرآن فقد ظلت هي أيضاً محسوسة جداً ، دون أن تصل الى غنى هذا الشعر وجزالته . ورغم أن المسلمين اعتبروا أن اصل هذه اللغة إلهي ، فإنها تثير أمام أبحاث اللسانيين وعلماء الإسلاميات اسئلة لم تتلق حتى الآن أجوبة موحدة . ومع ذلك ، فمن المؤكد أن مفردات هذه اللغة، المحدودة نسبياً ، لم تكن كافية للتعبير عن مفاهيم العلم والفلسفة اليونانيين . وضمن هذه الظروف ، تعتبر دراسة المنهجيات التي وضعها مترجمو النصوص اليونانية الى العربية ، ذات أهمية كبرى ، تاريخية وفلسفية ولسانية في الوقت نفسه ، ومن هنا تأتي أهمية كتاب السيدة سلامة ــ كار .

يعتمد هذا العمل ، بخاصة ، على دراسة الترجمات والمترجمين ومدارسهم ، كما يعتمد على شهادة عدد من المؤلفين العرب المهتمين بالمسائل المثارة . وهكذا تعيد السيدة سلامة ــ كار بناء البيئة المادية والفكرية التي تحقق فيها هذا العمل الحضاري الهام حول بغداد . لقد اختارت أن تمركز دراستها حول الشخصية الأكثر أهمية والأكثر تميزاً والأكثر إدراكاً أيضاً للصعوبات ولأهمية وضع منهجية تسمح بنقل الفكر اليوناني إلى اللغة العربية ، إنه حنين بن اسحق .

كان لا بد من توفر الكثير من الكفاءات من أجل الترجمة الجيدة : كان لا بد من معرفة اليونانية أولاً ، وهذا أمر لم يكن في متناول المسلمين الذين لم يكونوا يعرفون سوى العربية . لقد كان المسيحيون إذن الأكثر تأهيلاً لهذه الغاية بخاصة حين يفهمون السريانية ويقدرون على قراءة الترجمات السريانية من اليونانية ، والتي استخدمت في التعليم لدى النسطوريين . لقد درس هؤلاء المسيحيون ، في الواقع ، الفكر اليوناني وحللوه من أجل استخدامه لعرض شريعتهم ، وقاموا بالنتيجة بإعداده لوضعه في خدمة فكر ديني توحيدي . ولقد أثرت أبحاثهم حول المنطق ، بخاصة ، تأثيراً كبيراً ، على فلاسفة الاسلام . وقام حنين بن إسحق بهذه المهمة الأولى . كان من الضروري معرفة اللغة العربية ، لغة القرآن التي هيمنت بعد الفتح الاسلامي لدى اليهود والمسيحيين الذين لم يتأخروا عن دراستها على أيدي كبار العلماء في أغلب الأحيان . كان من الواجب أخيراً معرفة العلم الذي يعالجه الكتاب المتوجب ترجمته بالطريقة التي تسمح بالفهم الدقيق لما يريد المؤلف قوله في اختصاصه . وهنا أيضاً ، حقق حنين بن إسحق هذا الشرط . كان من البديهي أن لا يستطيع العلماء المسلمون تأهيل أنفسهم إلا بعد قيام الترجمات التي سمحت لهم بالتعرف على الأعمال اليونانية .

كانت الترجمات الأولى سيئة جداً ، إذ كانت حرفية بكل تأكيد ، تتطابق فيها الجملة العربية مع اليونانية متجاهلة المصطلحات الهلنستية

التي لم تكن قادرة على ترجمتها .وكان هناك أيضاً العديد من الترجمات السريانية الناقصة . لقد شرع حنين وتلاميذه بإعادة نظر فيما تم من ترجمات ، وتميز حنين ، في أبحاثه ، بما نسميه بتحقيق النصوص ، وذلك من خلال مقارنة عدة مخطوطات ، كلما بدا ذلك ممكناً ، مستخدماً النقد النصي عبر طرائق تعتبر حديثة جداً

ذلك إذن هو الموضوع المثير لكتاب السيدة سلامه ـ كار الذي نضعه بين أيدي الجمهور . فهي لا تقدم فقط عرضاً عاماً للمشكلة مع تحليل للمسائل والمنهجيات ، بل تقوم بترجمة العديد من النصوص المأخوذة عن المؤلفين العرب والتي تشكل مجموعة ثمينة من الشهادات والتوضيحات . نحن نعرف أهمية هذا العمل الترجمي في حضارتنا الغربية . فقد خرج منه العلم والفلسفة ((العربيان)) وبكلمة واحدة : الحضارة العربية الإسلامية التي أثرت في الفكر الوسيطي اللاتيني . وبذلك نفهم أهمية ((مدرسة حنين بن إسحق)) كلها .

روجيه ارنالديز

عضو أكاديمة العلوم الأخلاقية والسياسية

مدخل

اذا نحن اخترنا ان نخصص دراستنا هذه لمدرسة حنين بن اسحق للترجمة ـ الذي ساهم بفعالية في حركة الترجمة العربية للمؤلفات الفلسفية والعلمية عن اليونانية ، بخاصة ، في بغداد القرن التاسع من التقويم الميلادي ـ فإننا لم نفعل ذلك بهدف تقديم معلومات جديدة عن هذه المدرسة وانتاجها . فالغاية من دراستنا في الواقع ، هي وضع هذه المدرسة ونشاطاتها في إطار الترجمة .

فبفضل الجهود التي يبذلها فريق البحث في المدرسة العليا للمترجمين في باريس (ESIT) ، تفرض الترجمة نفسها أكثر فاكثر ، باعتبارها علماً قائماً بذاته لا يقتصر تعليمها على مجال تربوي محض يتمثل في تمرين لتعليم اللغات او في مقارنة بينها ، مما يدخلها في مجال اللسانيات المقارنة ، وذلك رغم وجودها على مفترق طرق لاختصاصات متعددة . تتجه الترجمة اذن نحو الممارسة . ويبدو لنا مبرراً أن نضمن كل تاريخ للترجمة حنين بن إسحاق والملاحظات التي أثارها إنتاجه والتعليقات التي قام بها ، هو نفسه ، حول نشاطه الترجمي والقائمة على تجربته باعتباره ممارساً للترجمة ، كما يبدو مبرراً أن يظهر اسمه الى جانب أسماء كبار مترجمي العصور القديمة أو عصر النهضة ، أي بين هؤلاء الذين ساهموا بممارستهم او ملاحظتهم في بناء علم الترجمة .

يبدو لي مهماً ـ باعتباري مستعربة وتلميذة سابقة في ESIT وبناء على تجربتي الترجمية ـ أن أحاول أن اظهر كيف استطاعت الحضارة العربية والاسلامية أن تساهم في عملية الترجمة ليس على مستوى النصوص المترجمة فقط وأن أبين الى أي درجة تبقى المسائل التي أثارها المترجمون أو أعمالهم عصرية ، وكذلك أن أظهر تأثيرها على

ممارسة الترجمة نفسها . فليست هذه الترجمات مهمة فقط باعتبارها وسيلة لنقل علوم الاقدمين الى الحضارة الغربية ، بل لأنها تقدم اسهاماً في عملية التفكير حول الترجمة .

لقد جرت دراسات عديدة ومعمقة حول هذه المدرسة بخاصة على مستوى الانتاج ، ومن خلال نقد نصي للترجمات المتوفرة . أما نحن فنرغب في دراستها من منظور مختلف تماماً . تسعى دراستنا اذن الى تقديم مدرسة حنين بن إسحق من خلال عملها وانتاجها ، في الاطار التاريخي والحضاري الذي عاشت فيه ، كما تهدف الى حصر المفاهيم المختلفة التي تكونت حول النشاط الترجمي في ذلك العصر . سنحلل الافكار التي وصلتنا عبر صفحات المخطوطات ، من ترجمات ومؤلفات الكتاب اللاحقين على العصر الذي ندرسه ، تلك الافكار المتعلقة بعملية الترجمة نفسها ، أو تلك الأفكار التي قدمها الملاحظون الخارجيون المتفحصون لمستوى هذه الترجمات أو المتسائلون عن امكانية هذه العمليات .

يفرض علينا العصر الذي اخترناه أن نقدم وصفاً عاماً عن المحيط التاريخي والحضاري الذي كان يعمل فيه المترجمون وأن نعرض لمحة سريعة عما سبق هذه العصر اللامع من الحضارة العربية الاسلامية وعن ولادة الامبراطورية الجديدة نفسها. من البديهي أن تتطلب خصوصية الموضوع المعالج تقسيماً اعتباطياً في الغالب ، وانتقاءاً على مستوى الكتاب والمؤلفات المعروضة . سنركز على مسالة أن بحثنا لا يهدف الى كتابة تاريخ العلم العربي في عصر معين ، ونحن مدركون أن عدداً من العلماء الذين أسهموا بشكل واضح في الازدهار الحضاري لهذا العصر ، لن يذكروا في هذه الدراسة ، أو أنهم سيذكرون بشكل سريع جداً . وهكذا فلن يعالج مظهراً وحيد اللغة من النشاط الفكري ، العلوم الدينية مثلا أو البحث الادبي . نطلب السماح من الاخصائي المستعرب الذي سيجد بكل تأكيد ، تعميمات سريعة ، وكذلك من غير المختص الذي لا نقدم له ، عن قصد ، سوى لوحات غير مكتملة وعامة عن عصر شديد الغنى .

القســم الأول

لمحــة عامــة

لقد جعلت مجموعة من العوامل التاريخية والحضارية من بغداد ، في القرن التاسع الميلادي (القرن الثالث الهجري) ، إحدى أكبر حواضر العصر ، عاصمة الامبراطورية الإسلامية وإحدى اهم المدن في عالم العصر الوسيط ، وذلك بسبب تطورها وتمدنها ونشاطها العلمي والفكري .

بعد أن حل العباسيون عام ٧٤٩ محل السلالة الأموية ، التي تربعت على عرش السلطة منذ عام ٦٦٠ ، تركوا دمشق ، التي كانت حتى ذلك الوقت عاصمة الامبراطورية ، كي يؤسسوا بغداد عام ٧٦٢ في خلافة أبي جعفر المنصور. وقد أدى توسيع الأمبراطوارية ـ أي فتح سورية منذ الخلفاء الأوائل وبلاد ما بين النهرين عام ٦٣٧ ومصر وليبيا عام ٦٤٠ ـ الى دخول عناصر أجنبية متزايدة جعلت من بغداد ، مقر السلطة المركزية، محوراً تتلاقى فيه الثقافات المختلفة .

كانت البلدان المفتوحة قد شهدت ولادة حضارات مغرقة في القدم ، وكانت الثقافة العربية تغتني من كل المعطيات الآتية من بلاد فارس والهند وسورية ومصر ... وعرفت الحضارة العربية الإسلامية بفضل هذا التمازج الفكري « عصراً ذهبياً » في القرن التاسع الميلادي ، بخاصة في عصر الخليفة المنصور بين عامي ٨١٣ و ٨٣٣ . ولقد تم هذا التمازج من خلال حركة هامة للترجمة احتلت فيها مدرسة حنين بن اسحق مكاناً متميزاً .

وعلى الرغم من المحاولة الأصيلة التي مثلتها هذه المدرسة ، فلا يمكن ان تعتبر ظاهرة منعزلة أو مستقلة عن حركة الترجمة التي سبقتها ، والتي مثلت هذه المدرسة قمتها سواء على مستوى ضخامة النشـــاط الترجمي وعدد المؤلفات المترجمة ، أو على مستوى نوعية الترجمات نفسها التي كانت تتم ، في الغالب ، على شكل تنقيحات لترجمات سابقة.

سنعرّف بإيجاز ، في هذا القسم الأول ، الاطار الثقافي الذي نمت فيه مدرسة حنين بن اسحق .

وقبل ان نعالج ظاهرة الترجمة نحو اللغة العربية في عهود الخلفاء الأوائل ثم في العصرين الأموي والعباسي ــ يمكن قسمة هذا العصر الأخير الى أجيال من المترجمين ــ من المناسب أن نذكّر أن الترجمة كانت نشاطاً منتشراً نسبياً في البلدان التي فتحها العرب .

« هذه البلدان ذات الحضارات المغرقة في القدم ، في سورية وفارس ، حيث تصطرع ، منذ زمن بعيد النزعات الدينية والفكرية الأكثر تمايزاً » .

كانت فتوحات الاسكندر الكبير ، في القرن الرابع قبل الميلاد ، قد أدت الى انتشار العلوم اليونانية في هـذه المنطقة من العالم . وكانت مدرسة الاسكندرية في مصر مركزاً هاماً للدراسات الهلنستية (في عصر بطليموس ، ٣٢٣ قبل الميلاد ، كانت الاسكندرية تنافس أثينا) ومهداً للفلسفة الافلاطونية الجديده ، بخاصة بعد إغلاق المدارس الوثنية في الامبراطورية الرومانية،في عهد الامبراطور جوستنيان في القرن السادس.

لقد صدّرت الاسكندرية الطب اليوناني الى بلاد ما بين النهرين الى جانب مؤلفات أرسطو وشروحاتها الافلاطونية الجديدة التي درست في الأديرة الشرقية بالتوازي مع المؤلفات المسيحية . كان للعلوم اليونانيـة إذن أثر كبير لدى السوريين ، إذ كانت تدرس العلوم اليونانية والسريانية

في المدارس السريانية . ولقد نقل سيرجيوس ريشينا (المتوفى في عام ٥٣٦ م) من اليونانية الى السريانية أعمال دونيز الايرو غاجيت وكتاب بورفير الايزاغوج ومقولات ارسطو ، وكذلك مؤلفات غاليان الطبية .

لقد نقل السوريون الحضارة اليونانية الى الأمبراطورية الفارسية في عصر الأسرة الساسانية (٢٢٤ ـــ ٦٥١ م) ، اضف الى ذلك أن الفرس كانوا يجلبون الكتب أثناء حملاتهم في اليونان ومصر ، وأن الأمبراطور كسرى أنو شروان (كسرويه) قد أسس في جند يسابور مدرسة طبية شهيرة حيث درّست العلوم اليونانية باللغة السريانية . ومن جهة اخرى، ترك العديد من العلمـاء الامبراطورية البيزنطية بعد أن اقيل البطريق نيستور من منصبه من قبل مجلس ايفيز عام ٤٣١ م ، والتحقوا بجند يسابور واستقروا فيها بشكل نهائي .

نرى إذن أن الامبراطوية الإسلامية ، في العصر الذي ندرسه هنا ، تغطي عدة مناطق لغوية .

كانت اليونانية اللغة الرسمية في سورية خلال الفترة التي كانت فيها تحت الحكم البيزنطي ، كما كان هذا حال الفارسية القديمة في بلاد مـا بين النهرين ، في ظـل السلالة الساسانية ، أمـا اللغة السريانية (الآرامية) فقد ظلت لغة الكنائس المسيحية .

لقـد أسرع العرب ، مع أول فتوحاتهم ، بوضع اليد على إدارات البلدان المفتوحة ، ونصبوا عربياً على راس كل منها محافظين على البنى القائمـة ، فكان من الـواجب إذن أن تترجم الى العربية كل الوثائق الإدارية ، مثل العقود والسجلات والمحفوظات . وسعى هذا المشروع أيضاً الى فرض اللغة العربية لغة رسمية والى توسيع انتشارها . لذلك انطلقت مع حكم الخلفاء الأوائل ترجمة كل ما يتعلق بالإدارة الفارسية في العراق ، وأصبحت اللغة العربية ، بذلك ، اللغة الرسمية ، في العصر الأموي ، في كل من سورية ومصر ، حالة محل اليونانية . وأمر الخليفة

الأموي عبد الملك ، الذي حكم من عام ٦٨٥ الى عام ٧٠٥ ، بترجمة الوثائق المالية ، وفرض العربية لغة عمل ، بالنسبة لمسك الدفاتر لدى الموظفين مثلاً ، وكذلك بالنسبة للنفقات والتعليمات والمحاسبة العامة .

إلا ان ترجمة المؤلفات الفلسفية والعلمية التي ساهمت فيها بنشاط مدرسة حنين بن إسحق ، فقد تأخرت بشكل عام ، إذ ترجمت الى العربية ، في تلك الفترة ، بعض المؤلفات اليونانية في الطب وكذلك بعض رسائل أرسطو الموجه للاسكندر الكبير . ومع ذلك بقيت هذه الأعمال منفردة ، إذ كانت محاولات فردية لا تنضوي تحت حركة عامة للترجمة ، كما سيصبح الحال في العصر الذي نحن بصدده ، بشكل خاص .

كان لا بد من انتظار العصر العباسي كي تترجم الى العربية أهم أعمال ارسطو مع شروح مدرسة الاسكندرية ، وبعض أعمال أفلاطون ومعظم اعمال غاليان الطبية ، وذلك عن الترجمات السريانية أو اللغة اليونانية مباشرة . وعلى الرغم من عدم وجود تمييز واضح بين مختلف العلوم ، التي اعتبرت جميعاً فروعاً من الفلسفة ، يمكننا القول إن الترجمة قد مست أولاً المجالات العلمية في نطاق علم الفلك والطب قبل أن تهتم بالفلسفة ومؤلفات المنطق ومـا وراء الطبيعة . كتب المؤرخ الكبير ابن خلدون (١٣٣٣ — ١٤٠٥) في « المقدمة » يقول :

« أراد المسلمون دراسة العلوم الفلسفية ، فقد سمعوا القساوسة والرهبان يتحدثون عنها الى رعاياهم المسيحيين ، والعقل البشري يميل بالطبع للتعلم . لذلك طلب (الخليفة العباسي) أبو جعفر المنصور الى امبراطور بيزنطة أن يرسل إليه الترجمات (العربية) لكتب الرياضيات . فـأرسل الأمبراطور إليه مؤلفات اقليدس وبعض كتب الفيزياء . فقرأ المسلمون ودرسوا كل هذا مما منحهم الرغبة في معرفة أكثر. وحين تولى الخليفة المأمون الحكم ، كان لديه بعض المعرفة والرغبة في التعلم . فانطلق إذن الى العمل وارسل بعثة الى

أباطرة بيزنطة . وقد كلف رسله بالبحث عن المؤلفات العلمية اليونانية ونقلها الى العربية . ولذلك فقد الحق بهم تراجمة ، وهكذا تمت المحافظة على جزء كبير من هذه العلوم وجمعها » .

تقسم المرحلة العباسية للترجمة الى أجيال ثلاثة من المترجمين عموماً ، وذلك على الرغم من صعوبة تحديد هذه الأجيال بدقة .

الجيل لأول من عام ٧٥٣ الى عام ٨١٣ ، اي في بداية العصر العباسي، وهو يقع تحت حكم الخليفتين المنصور والرشيد .

لقد اهتم الخليفة المنصور (٧٥٣ ــ ٧٧٤) بخاصة بعلم الفلك وأمر بترجمة الكتب الهندسية التي تعالج هذا العلم . ولقد أشرنا سابقاً الى أنه قد طلب من أمبراطور بيزنطة أن يرسل له أعمال اقليدس والمجسطي لبطليموس ، وتُرجم كتاب اقليدس الى العربية . ووفاقاً لابن خلدون يعتبر كتاب اقليدس أولى الترجمات من اليونانية الى العربية لدى المسلمين ، غير أنه يبدو أن اولى الترجمات من هذا النوع تعود الى عصر أسبق .

لقد ترجم الكاتب ابن المقفع (أعدم عام ٧٥٦) للخليفة نفسه كتباً من بينها كتاب بانشانترا الهندي (قواعد سلوك الملوك) ، انطلاقاً من ترجمة فارسية عن السنسكريتيه أمر بها كسروية (٥٣١ ــ ٥٧٩) .

وأمر هارون الرشيد (٧٨٦ ــ ٨٠٨) بترجمة المؤلفات الطبية اليونانية التي جمعت أثناء الفتوحات وكلف بمهمة الترجمة هذه الطبيب يوحنا بن ماسويه خريج مدرسة جنديسابور .

اما الجيل الثاني الذي ينطلق من عهد الخليفة المأمون (٨١٣ ــ ٨٣٣) فهو الجيل الذي ينتمي إليه حنين بن إسحق ومدرسته التي يرتبط

بها مترجمون مثل : يحيى البطريق والحجاج بن مطر وكوستا بن لوقا وثابت بن قره الذين سنعود إليهم ، وهم يشكلون جزءاً من المرحلة الاكثر تألقاً في حركة الترجمة الى العربية .

يمتد الجيل الثالث من عام ٩١٢ الى نهاية القرن العاشر ، ويمكننا أن نذكر اسماء : متى بن يونس وسنان بن ثابت ويحيى بن عادي .

لا يمكننا ان نهمل ، في استعراض الحياة الفكرية في بداية العصر العباسي ، الدور الأساسي الذي قامت به المكتبات العامة او الخاصة ، بخاصة بيت الحكمة الشهير في بغداد .

لقد قامت المكتبات قبل الفتوحات الاسلامية بدور كبير ، نذكر منها مكتبة الاسكندرية التي اسست في القرن الثالث قبل الميلاد من قبل بطليموس ، وتعتبر مثالاً متميزاً . وكانت هناك مكتبات في سورية وبلاد ما بين النهرين استخدمت في العصر الأموي (٦٦٠ — ٧٥٠) .

يرجح ان يكون الخليفة المأمون مؤسس بيت الحكمة في بغداد ، غير ان المؤرخين العرب ، مثل ابن النديم في كتابه « الفهرست » يذكرون هذه المكتبة في علاقتها مع عهد الخليفة الرشيد الذي نقل إليها ترجمات الكتب اليونانية كلها ، وكذلك الكتب العربية والكتب المنقولة من الهند وبيزنطه المخصصة للترجمة .

يحدد تاريخ تأسيس هذه المكتبة في الواقع ، وبشكل تقريبي ، في النصف الثاني من القرن الثامن ، ويشير ابن النديم بين حين وآخر الى خزانات الحكمة في علاقتها مع عهد الخليفة الرشيد ، ذاكراً أن أبا سهل ابن نباخت ، المكتبي والمترجم من الفارسية الى العربية ، كان في خزانات حكمة الرشيد ، ويربط ابن النديم هذه المكتبة بعهد المأمون ، ذاكراً سهل بن هارون وسلم اللذين احتلا منصب مدير بيت الحكمة المسمى خزانات أو بيت الحكمة . اكتسبت هذه المكتبة ، في عهد المأمون ، مجدها

وتحولت من مكتبة بسيطة الى مركز دراسات حقيقي وتخصصت بترجمة الكتب اليونانية الى العربية ، مما دفع الى تصنيف الكتب وتوزيع الأعمال بين المترجمين والنساخ والمجلدين ، وسندرس عمل هذه المكتبة بتفصيل أكثر حين ندرس مدرسة حنين بن اسحق .

وسنرى أيضاً أن حركة الترجمة ستتجاوز غاياتها الأولى ، وأن حوافزها ستتجلى على مستوى مواقف الخلفاء والأهمية الخاصة التي يحملونها لهذا العلم أو ذاك ، إضافة الى متطلبات البنى الجديدة للأمبراطورية .

وسندرس العناصر التي كانت في أصل هذا النشاط الترجمي والتي حددت اختيار النصوص التي أخضعت للترجمة .

* * *

القسم الثاني

حنين بن إسحق

خصص المؤتمر التاسع والعشرون للمستشرقين المنعقد في الكوليج دوفرانس يوم الثلاثاء الواقع في ١٧ تموز ١٩٧٣ ، ندوة لحنين بن إسحق تخليداً لمرور المئة الحادية عشرة على وفاته وأشار جورج عطواني في مقدمة اعمال الندوة الى التعددية الثقافية لدى حنين والى أهمية هذه التعددية بالنسبة للحوار الاسلامي المسيحي . فلقد استوعب المسيحي النسطوري ، حنين ، الثقافة اليونانية ليكاملها مع الحضارة العربية الاسلامية عبر اللغة السريانية ، وفي أغلب الأحيان ، وذلك بفضل عمله الترجمي أساساً . وكان متعدد الثقافة أيضاً ، إذ كان طبيباً ولسانياً ومترجماً . ونحن نهتم به هنا باعتباره مترجماً .

لقد اعتمدنا في دراسة ترجمة حياته ، هنا ، على المؤرخين العرب ، ورأينا أن من المفيد ان نذكر أهم المؤرخين ، مشيرين الى الجانب الذي اهتم به كل منهم لدى حنين ، فقد قدم هذا الأخير باعتباره طبيباً تارة ولسانياً تارة ومترجماً تارة وفيلسوفاً تارة أخرى ، غير أن المؤرخين اتفقوا على الاعتراف لحنين بكفاءة لسانية عالية ، سواء في اللغة اليونانية أم العربية .

يذكر ابن النديم ، الذي عاش في العصر الذي ندرسه ، في كتابه « الفهرست » المؤلف عام ٩٨٧ ، حنيناً بين مترجمي اللغات الأجنبية الى العربية ، ويخصص له بعد ذلك بنداً يذكر فيه صفة حنين الطبيب بالدرجة الأولى .

أما ابن جلجل المغربي فيصنف حنيناً في مؤلفه « طبقات الأطباء والحكماء » ، المنتهي في الفترة نفسها ، بين الأطباء والحكماء .

ويضع كتاب « الملل والنحل » للشهرستاني ، المتوفي عام ١١٥٣ ، حنيناً بين فلاسفة الاسلام

ويصف ابن العبري ، المتوفى عام ١٢٢٦ ، في كتابه « مختصر تاريخ الدول » حنيناً باعتباره طبيباً مشهوراً في عصر المتوكل ، وينسب إليه عدة ترجمات قام بها في الواقع ، حبيش ، حفيد حنين وتلميذه .

ويقدم ابن ابي أصيبعة ، المتوفى عام ١٧٢٠ ، حنيناً على انه لساني ، ويعرض لنا نشاطه الترجمي في كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » الذي يعتبر مصدراً غنياً جداً في ترجمة حياة حنين . ويشير أيضاً الى أن حنيناً كان أحد الأطباء المعتمدين لدى الخليفة المتوكل .

ويذكر ابن خلكان ، المتوفى عام ١٢٨٢ ، في كتابه « وفايات الأعيان » حنيناً باعتباره طبيباً ، ثم يذكره بعد ذلك لسانياً ويعدد ترجماته .

وأخيراً يتحدث القفطي ، المتوفى عام ١٢٤٩ ، في كتابه « تاريخ الحكماء » عن حنين باعتباره طبيباً وتلميذاً لماسويه الشهير ، ثم أحد مترجمي السريانية الى العربية ، كما يذكر حنيناً أيضاً باعتباره طبيباً معتمداً للمتوكل ومسؤولا عن فريق مترجمين في بيت الحكمة في الوقت نفسه .

ولد أبو زيد ،حنين بن اسحق العبادي ، المعروف تحت اسم جوهانيتيوس أومان أو هومينوس في أوربا العصر الوسيط ، في الحيرة بالعراق عام ٨٠٩ في القبيلة العربية المسيحية عباد . وكان ابوه عطاراً ، مما أتاح له الفرصة باكراً للاهتمام بالعقاقير والطب وبخاصة طب العيون .

فشرع في دراسة هذه العلوم لدى يوحنا بن ماسويه (٧٧٧ ــ ٨٥٧) ، المعروف في أوربا تحت اسم ميسوسينور ، من مدرسة جنديسابور المذكورة في القسم الأول من كتابنا . وكانت أسئلة التلميذ تغضب المعلم ، إذ كانت ملحة ، وربما كان من الصعب أحياناً الاجابة عنها . ومن جهة اخرى ، كان الأستاذ يحمل نوعاً من الازدراء لأهل الحيرة باعتبارهم تجاراً أو صرافين تقليديين . ويتفق المؤرخون على الاشارة الى حركة الغضب هذه لدى ماسويه الذي طرد يوماً حنيناً من حلقته ، مما ولّد يأساً كبيراً لدى التلميذ الشاب .

انتقل حنين ، بعد ذلك ، الى بلاد بيزنطه كي يتعلم فيها اليونانية ، ووفاقاً لما يقوله ابن ابي أصيبعه ، فإن حنيناً قد تعلم اليونانية في الاسكندرية ، ثم انتقل الى البصرة في العراق كي يكمل معرفته باللغة العربية .

ويقول ابن جلجل إن حنيناً ربما درس العربية لدى النحوي الكبير الخليل وأدخل مؤلفه « كتاب العين » الى بغداد . ولقد أشير الى هذا اللقاء أيضاً في كتاب ابن أبي أصيبعة (الذي يرد قول ابن جلجل) ، وكذلك في « تاريخ الحكماء » للقفطي ، إلا ان الناشر فؤاد السيد يرفض هذا اللقاء في طبعته لـ « طبقات الأطباء » ، لأسباب زمنية . ومع ذلك ، يحدد ابن النديم موت الخليل عام ٧٨٦ ، أي قبل عشرين عاماً من ولادة حنين .

لقد اعترف ماسويه بمعارف حنين اللغوية بعد عودته من أسفاره الدراسية وعرض عليه منصب مترجم في بيت الحكمة الذي كان يسيطر على اعمال الترجمة ، في عهد الخليفة المأمون ، راعي العلماء ؛ وذلك بعد أن كان ماسويه قد طرده من حلقته الدراسية في الماضي . وحين نعرف أن هذا الخليفة قد حكم بين عامي ٨١٣ و ٨٣٣ ، وأن ولادة حنين قد وقعت في عام ٨٠٩ ، يمكننا القول إن حنيناً قد بدأ عمله مترجماً في وقت مبكر نسبياً ، وينقل ابن أبي أصيبعة أن المأمون قد دعا حنيناً بن

اسحق ، الشاب ، وطلب إليه ان يترجم ما يستطيع من كتب الحكماء اليونانيين الى العربية وأن يراجع ما ترجمه الآخرون .

ويذكر حنين ، من جهة أخرى ، في « رسالة الى علي بن يحيى » ، أنه قد ترجم كتاباً لغاليـان حول القوى الطبيعيـة من الاغريقيـة الى السريانية ، وكان له من العمر سبعة عشر عاماً .

وكلف حنين أيضاً بترجمة مؤلفات علمية من قبل الأخوة شاكير ، وهم رعاة علماء أغنياء ، وكانوا أنفسهم علماء رياضيات ومترجمين . يقول القفطي إن حنيناً قد التقى الاخوة شاكير بعد عودتـه من اليونان وأنهم قد حثوه على الترجمة من اليونانية الى العربية .

مارس حنين إلى جانب أعمال الترجمة هذه مهنة الطب وأصبح الطبيب المعتمد للخليفة المتوكل . وقد رفع حنين في عهد هذا الخليفة إلى مرتبة مسؤول عن أعمال الترجمة في بيت الحكمة وأشرف على أعمال المترجمين ، من أمثال موسى بن خالد ويحيى بن هارون .

أضف إلى ذلـك أن حنينـاً قد سافر إلـى العـراق وسـورية والاسكندرية وبيزنطه باحثاً عن مخطوطات للترجمة ، ولم يكتف بما تم جمعه في بيت الحكمة بتشجيع من الخليفتين الرشيد والمأمون . وكان المأمون قد أرسل بعثة إلى بيزنطة لجلب مخطوطات يونانية للترجمة . وقد تكونت هذه البعثة من المترجمين : الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم الذي كان رئيساً لبيت الحكمة . وقد كلف المأمون هؤلاء المترجمين بترجمة هذه المخطوطات وطلب إلى حنين ، الذي ذاع صيته ، مراجعة أعمال الترجمة هذه .

وأرسل الإخوة شاكير ، من جهتهم ، بعثة كان فيها حنين ، ويقول ابن النديم إن هذه البعثة قد جلبت كتباً هامة ونادرة حـول الفلسفة والهندسة والموسيقا والحساب والطب

لقد كان لشهرة حنين الطبية والترجمية وموقعه المميز في القصر ، بخاصة في عهد المتوكل ، دوراً في إثارة الحسد والغيرة لدى بعض زملائه وحاشية الخليفة ، فكان أن غضب الخليفة عليه ، نتيجة للدسائس التي حيكت حولـه نحو عـام ٨٥٦ ، مما أدى الى سجنه ومصادرة مكتبته الشخصية . ثم عفى عنه وعاد إلى عمله الترجمي ، وكتب خلال فترة سجنه عدة كتب منها مدخل إلى الطب خاص للطلاب وولديه داوود وإسحق ، بخاصة . وترجم اسحق هذا (توفي عام ٩١٠) الى العربية العديد من كتب أرسطو . وأكمل حفيده وتلميذه حبيش عمله بعد وفاته .

يلفت عمل حنين بن اسحق بخصبه ونوعيته معاً . ويذكر في رسالته ، انه قد ترجم إلى العربية خمسة وثلاثين مؤلفاً طبياً لغاليان ، ومئة كتاب للمؤلف نفسه الى السريانية (كان تلاميذه يقومون بالمرحلـة الثانية في الغالب ، اي بالترجمة العربية للترجمات السريانية التي قام بها حنين). كما قام بمراجعة العديد من الترجمات السابقة .

وقد اشار المؤرخون العرب والمختصون ، الذين تصدوا للنقـد النصي للترجمات المنسوبة لحنين ، إلى نوعيـة هذه الترجمات . ان من الصعب أن نفصل هذا العمل عن مدرسته ، ذلك أننا سنرى أننا أمام عمل فريق وأن مهمة حنين تركزت ، في الغالب ، في مراجعة الترجمات السابقة ، الحرفية في معظمها ، أو الغامضة . كان حنين يترجم عموماً مؤلفات طبية، بخاصة مؤلفات غاليان وشروح هذا الأخير لمؤلفات ابقراط. أما الترجمات اللاحقة ، فيجب أن توضع في حساب مدرسته : جزء كبير من العمـل الفلسفي لأرسـطو والمـادة الطبيـة لديوسكوريد والطب لتيومينست نيكو بوليس .

سنعود لاحقاً لما قدمته هـذه المدرسة . ولنشر مع ذلك إلى أن مدرسة حنين بن إسحق قد تولت أيضاً ترجمة العديد من شروحـات أعمـال أرسطو .

* * *

القسم الثالث

مدرسة الترجمة

ماذا نفهم من مصطلح « مدرسة » الذي يستخدمه المستشرقون عادة والذي ينطبق على جماعة المترجمين الذين ينتمي إليهم حنين وانتهى الى إدارتهم ؟ لقد استخدم المؤرخون العرب في الغالب مصطلح « جماعة المترجمين » أو « جملة المترجمين » .

إننا أمام مركز انتاج ، بشكل أساسي ، وكذلك أمام مركز تأهيل للمترجمين ، حتى ولو كانت المعلومات المتعلقة بهذه الوظيفة الأخيرة قليلة الى حد ما .

إننا ، بكل تأكيد أمام مركز إنتاج ، ذلك أنه بفضل هذه الجماعة من المترجمين قد تمت ترجمة عدد هائل من الأعمال العلمية والفلسفية اليونانية الى العربية ، وأن هذا الارث اليوناني قد استوعب وانضم الى الحضارة العربية الاسلامية ليكون أحد أسسها . سنعود الى مساهمات هذه الترجمات في أقسامنا اللاحقة . حين نتكلم عن مدرسة المترجمين ، نقصد مركز إنتاج أكثر منه مدرسة حقيقية ذات هدف تعليمي . وفي الواقع ، إن المعلومات التي تسمح لنا بقبول وجود بعض التأهيل بشكل كامل ، نادرة ، كما ان هذا الجانب من المدرسة لم يدرس بشكل خاص من قبل المؤرخين والمؤلفين .

غير أن بعض المراجع المنعزلة تسمح لنا بان نفكر بأن مدرسة حنين كانت تقوم أيضاً بدور التأهيل ، تأهيل عملي لا يقوم ، على ما يظهر ،

على نظرية معمقة حول ظاهرة الترجمة ، رغم أن مفاهيم مختلفة حول هذه الفعالية قد تكونت لدى المترجمين انفسهم أو الملاحظين الخارجيين غير الممارسين .

إننا أمام تأهيل سريع يستطيع من خلاله مترجمون جدد أو مبتدؤن إكتساب تقانة الترجمـة وتأهيل لغوي من خـلال العمـل الى جانب المحترفـين .

وتمثل الرسالة التي تركها حنين حول ترجمة أعمال غاليان ،التي قامت بهـا مدرسته وعدلتها ، وثيقة ثمينـة ، ليس لأن حنيناً عرض فيها نوعاً من منهجية للترجمة فقط ، بل لأنه جعلنا نتلمس العلاقات بين المعلم والتلميذ التي تتواجد ضمن المهمة المشتركة للترجمة .

يستعمل حنين في هذا المؤلف مصطلح تلميذ ليشير إلى مترجم مثل عيسى بن يحيى كان ينتمي إلى جماعة المترجمين ، ويشير حنين في الرسالة نفسها بعض الأفكار المناسبة جداً حول تحسين نوعية عمل أحد المترجين إلى السريانيـة ــ من عصر سابق لعصره ، ذلك انه يعـود إلى القرن السادس ــ إنه سيرجيوس الذي كانت ترجماته المتأخرة أرقى من تلك التي قام بها قبل أن يتطور في فن الترجمة .

إن هذه الملاحظة حول التدريب هامة جداً ، وربما أراد حنين أن يشير إلى تطور الغوي فقط .

لقد تبنى المؤرخون مصطلح « تلميذ » للإشارة إلى مترجمين مثل حبيش وعيسى بن يحيى اللذين اعتبرا تلميذان لحنين ، غير أن حبيشاً كان أيضاً طبيباً . وكان مصطلح تلميذ ينطبق دون شك على نوعين من الفعاليات ! علم الطب والترجمة ، أما حنين بن إسحق ، فيقول لنا عنه ابن القفطي إنه كان يعمل مترجماً وإنه قد برع في هذا الميدان .

ربما كان حبيش التلميذ الذي كانت انجازاته ترضي حنيناً بشكل كبير . ويروي ابن النديم أن حنيناً كان يقدره كثيراً ويقدر ترجماته .

ويرى ابن العبري أن حنيناً كان يفضل حبيشاً على بقية تلاميذه وكان راضياً عن ترجماته . وتشير ملاحظات حنين في رسالته إلى أنه كان يقدر عمل حبيش ويؤيده ، ويقول لنا أيضاً إن حبيشاً كان يسعى إلى استخدام منهجيته نفسها . ولعل هذا كان احد الأسباب التيجعلت الناس تنسب ترجمات حبيش الى حنين في أغلب الأحيان ، وذلك خلط أشار إليه القفطي في كتابه « تاريخ .. » .

إذا تمكننا من ان ننسب إلى مدرسة حنين شكلاً مامن تعليم الترجمة ، من خلال التعليم ونموذج المعلميين ، فإن هذا الجانب الم يلفت انتباه المؤلفين والمؤرخين العرب المعاصرين وغير المعاصرين لتلك الفترة ، كما أنه لم يشكل موضوع دراسة مستقلة عن دراسة النصوص المترجمة من قبل المارسين انفسهم . ويمكننا حتماً أن نعيد السبب إلى غياب نظرية حقيقية حول الترجمة ، رغم ان هذه الفعالية قد أثارت العديد من الأفكار والمواقف، كما سنرى ذلك في الفصول المقبلة. غير أنه لا يمكننا أيضاً أن نعيد هذا الصمت الى إشعاع المدرسة نفسها التي بزّت بخصوبة إنتاجها واحترافها اعمال سابقيها ، أي الأجيال السابقة من المترجمين ، وتجاوزت ذلك الى إخفاء احد اوجه مهماتها نفسها .

قبل دراسة العمل الذي قدمته مدرسة حنين بن اسحق ، ربما كان من المفيد أن نعرف نوعاً ما بنية هذه المدرسة التي لا تمثل فقط حركة العلماء ، من مختلف العلوم ، وجهودهم المتضافرة من أجل نقل التراث اليوناني القديم الى الحضارة العربية الاسلامية عن طريق اللغة السريانية في اغلب الأحيان ، بل إنها تمثل أيضاً كياناً مادياً وتنظيماً للعمل . كان هذ التنظيم يسمح بتوزيع مختلف أعمال الترجمة بين المختصين وكذلك المهمات الموازية لترجمة الكتب القديمة مثل النسخ وتجليد المخطوطات وتصنيف الكتب .

رغم عدم وجود أية معلومات عن المقر الدقيق لمدرسة المترجمين هذه في بغداد في تلك الفترة ، وفق ما نعرفه ، فإننا نعرف أن مقرها كان في بيت الحكمة الذي لم يكن دوره مقتصراً على تخزين المحفوظات القادمة الى بغداد بتشجيع من الخلفاء وبعض العلماء ، بل كان هذا البيت يقوم أيضاً بدور معهد حيث يجتمع العلماء والباحثون من أجل مناقشة هذه المسألة العلمية أو تلك . وكانت هذه المناقشات على علاقة مباشرة بالترجمة . وربما كان بيت الحكمة على ارتباط بالقصر .

وقد خصصت جل نشاطاته للترجمة طالما أن المصادر تروي أن الكتب التي كانت فيه قد ترجمت . ويشير ابن النديم الى أن الخليفة المأمون قد أمر أن تترجم الكتب التي جلبتها من بيزنظة بعثة من المترجمين ، شملت سَلْمَ رئيس بيت الحكمة والمترجم عن الفارسية ، وقد نفذ الأمر .

وارتبط بهذا النوع من المؤسسات العلمية أيضاً مراصد ، ولنذكر هنا بالأهمية المعطاة لعلم الفلك من قبل الخليفة المنصور ، بشكل خاص فقد أمر بترجمة سند هاد الكبير الى العربية .

ومن المفيد الإشارة ، مرة أخرى ، الى انه من الواجب أن توضع هذه المدرسة في إطار الحركة العامة للترجمة ، ذلك انه من الصعب أن نحددها بشكل دقيق من خلال إنتاجها ، حتى حين سنقتصر على دراسة المنهجيات الخاصة بها . ذلك أنه حين عيّن حنين رئيساً لمجموعة المترجمين هذه ، تحت حكم الخليفة المتوكل ، كان قد ترجم عدة كتب . ولقد رأينا أنه، منذ بداية عمله كمترجم في عهد المأمون، قد كلف بمراجعة أعمال المترجمين السابقين وتصحيحها .

وتثار المسألة التالية : هل من الواجب الحديث عن مدرسة حنين بن اسحق حين نعالج مجموع الأعمال التي قدمها حنين ومساعدوه أو تلامذته ، أم علينا أن نحتفظ بهذا المصطلح (المدرسة) الى المرحلة

اللاحقة علـى تنصيب حنين في الادارة الرسمية للمترجمين بأمـر مـن الخليفة المتوكل ؟

تبدو الاجابة الأولى اكثر إرضاء بخاصة وأن حنيناً كان قد كلف من قبل المأمون بأعمال ترجمة .

ومن جهة أخرى هل من المناسب ان نميز بين مجموعة المترجمين الذين كانوا يعملون لصالح الأخوة شاكر والمجموعة التي وضعها المتوكل تحت إمرة حنين ؟ ربما بدا أن مصطلح مدرسة ينطبق على المجموعتين ، وذلك من خلال التوضيحات التالية التي قدمها المؤلفون .

المترجمون المعينون :

يشير ابن النديم الى ان الاخـوة شاكر قـد استخدموا مترجمين منهم حنين وحبيش الأعصم وثابت بن قرة ، ودفعوا لهم راتبـاً شهرياً بقيمة ٥٠٠ دينار مقابل أعمال في إطار ملازمة . وينطبق هذا الأمر علـى عمل مدرسـة .

وذكر اسم حبيش الاعصم بين المترجمين الذين وضعهم المتوكل تحت إدارة حنين الى جانب اسطفان بن باسيل وموسى بن ابي خالد ويحيى بن هارون .

ترجم حنين عدة كتب للاخوة شاكر بخاصة أعمال غاليان . وتنسب ترجمة هذه الأعمال الى مدرسته . من جهة أخرى تتطابق الأسماء التي يذكرها حنين في رسالته مع المترجمين الذين وضعهم الخليفة المتوكل تحت إدارته .

لا تنسب حركة ترجمة الكتب القديمة لجهود بعض الخلفاء فقط بل يعـود نشاطها أيضاً الى اهتمام العلمـاء انفسهم بترجمة هذه الأعمال الفلسفية والطبية والفلكية . لقد قدّر هؤلاء العلماء قيمة هذا المترجم

أو ذاك أو هذا اللساني أو ذاك الذين كلفوهم بالترجمة أو أدخلوهم القصر، وقام المترجمون بعملهم إذن من أجل الخليفة مباشرة وكذلك من أجل شخصية كبيرة في القصر ، عالم او طبيب أو راعي علماء غني .

لقد ادخل حنين بهذه الطريقة في حلقة مترجمي بيت الحكمة من خلال أستاذه السابق ابن ماسويه الذي تصالح معه في النهاية ، وترجم له العديد من كتب غاليان الى السريانية والعربية .

لقد رأينا أن حنيناً قد ترجم وراجع من أجل المأمون، كما أن الأخوة شاكير ، من طرفهم ، قد شجعوه على الترجمة من اليونانية الى العربية واستخدموه لديهم .

كما ترجم الى السريانية عدة مؤلفات لغاليان من أجل الطبيب جبريل بن بختيشوع وسمي رئيساً للترجمة من قبل الخليفة المتوكل الذي وضع تحت تصرفه :

« مؤلفين كتاباً أكفاء قادرين على الترجمة . وقد ترجموا فيما قام حنين بمراجعة ترجماتهم ، نذكر منهم اسطفان بن باسيل وحبيش وموسى بن ابي خالد » .

يذكر القفطي وابن ابي أصيبعة أيضاً ترفيع حنين الى مرتبة رئيس الترجمة .

ولكن من كان المترجمون الآخرون الذين راجع حنين ومدرسته أعمالهم ، والذين شكلوا فعلياً جزءاً من فريقه ؟ من أجل وضوح أكثر ، نرغب في استخدام التقسيم الزمني الى أجيال من المترجمين ، ذلك التقسيم الذي أشرنا إليه في إطار فصلنا الاول والذي سنعود إليه أيضاً خلال دراستنا لمناهج الترجمة .

يتحدث أحمد فريد الرفاعي في كتابه « عصر المأمون » عن التقسيم التالي الذي تم على مستوى المترجمين في العصر العباسي :

« يغطي تاريخ الترجمة في العصر العباسي مراحل ثلاثة: المرحلة الأولى وتمتد من عصر الخليفة جعفر المنصور الى وفاة هارون الرشيد ، أي من عام ١٣٦ الى عام ١٩٣ (٧٥٣ ــ ٨٠٨) . إنه الجيل الأول من المترجمين الذي يضم يحيى بن البطريق ، مترجم المجسطي في عصر المنصور وجرجس بن جبريل ، الطبيب الذي عاش عام ١٨٤ (٧٩٦) وعبد الله بن المقفع المتوفى عام ١٤٣ (٧٦٠) الذي ترجم كتب المنطق ويوحنا بن ماسويه في عصر الرشيد وحتى عصر المتوكل الذي اهتم بكتب الطب خاصة [. . .] وسلام الأبرص في عصر Barmecides وباسيل المطران » .

ولنذكر أن ابن ماسويه قد كلّف من الخليفة الرشيد بترجمة الكتب القديمة القادمة من بيزنطة وسمي أميناً للترجمة .

« المرحلة الثانية ، تمتد من وصول المأمون الى الحكم عام ١٩٨ (٨١٣) الى عام ٣٠٠ (٦١٢) ، إنه الجيل الثاني من المترجمين الذي ينتمي إليه يوحنا بن البطريق والحجاج بن مطر الذي عاش عام ٢١٤ (٨٢٩) وكوستا بن لوقا البعلبكي الذي عاش عام ٢٢٠ (٨٣٥) وعبد المسيح بن نعيمة الحمصي الذي عاش عام ٢٢٠ (٨٣٥) . وحنين ابن اسحق المتوفي عام ٢٦٠ او ٢٦٢ (٨٧٣ او ٨٧٥) وابنه اسحق بن حنين المتوفى عام ٢٩٨ (٩١٠) وثابت بن قره الصابي المتوفى عام ٢٨٨ (٦٠٠) وحبيش بن حسن أو حبيش بن الأعصم حفيد حنين المتوفى عام ٣٠٠ (٦١٢) ، لقد ترجمت في تلك الفترة بخاصة ، كتب ابقراط وغاليان وأرسطو وبعض أعمال افلاطون وكذلك شروح الأعمال المذكورة [. . .] .

المرحلة الثالثة وتقع عام ٣٠٠ (٩١٢) تاريخ وفاة حبيش وتصل الى نهاية النصف الأول من القرن الرابع (الحادي عشر) ويمكن أن نذكر من مترجمي تلك الفترة متى بن يونس الذي لا نعرف تاريخ وفاته . ويروى أنه كان في بغداد عام ٣٢٠ (٩٣٢) وعام ٣٣٠ (٩٤٢) وسنان بن ثابت بن قره المتوفى عام ٣٦٠ (٩٧١) ويحيى بن عبادي المتوفى عام ٣٦٣ (٩٧٤) وابو علي بن زراعه ٣٣١ ـ ٣٩٨ (٩٣٣ ـ ١٠٠٩) وهلال بن هلال الحمصي ، وعيسى بن سرباخت ، لقد اهتم هؤلاء المترجمون بكتب ارسطو في المنطق والفيزياء وكذلك بالشارحين مثل « اسكندر افروديز وحنا النحوي » .

نجد حنين بن اسحق ومدرسته إذن في الجيل الثاني ، إن هذا التقسيم مناسب غير أنه اعتباطي ، طالما أن بعض المترجمين ينتمون بعض الشيء الى جيلين ، وهكذا فإن الحجاج بن مطر الذي أرسل في بعثة الى بيزنطة من قبل الخليفة المأمون ، كان قد ترجم للخليفة الرشيد كتاب اقليدس وكذلك « المجسطي » لبطليموس .

لقد كان المترجمون الذين عملوا مع حنين قد كلفوا أولاً من قبل المأمون بجلب كتب بيزنطة وترجمتها ، وقد تمت المهمة الثانية تحت إشراف حنين، وهؤلاء المترجمون هم الحجاج بن مطر ويحيى بن البطريق.

وعمل حنين أيضاً لدى الإخوة شاكير الى جانب مترجمين مثل ثابت بن قره وحبيش الأعصم ، وترأس مجموعة مترجمين في عهد المتوكل ضمت اسطفان بن باسيل وحبيش وموسى بن ابي خالد ويحيى بن هارون . ويذكر حنين في **رسالته** أسماء عيسى بن يحيى وابن الصلت وحبيش واسطفان بن باسيل الذي أشرف حنين على عمله .

لقد جاء المترجمون من الطائفة المسيحية بشكل خاص ذلك أنهم كانوا يعرفون السريانية إضافة الى العربية ، وشيئاً من اليونانية . غير أن اليونانية كانت منتشـرة في الأديرة بشكل خاص . ولنشر الى أن مناصب هامة قد أسندت الى مسيحيين ، كأمناء وأطباء في القصر ، مثل عائلة بختيشوع ويوحنا بن ماسويه .

يذكر د. ارنالديز :

« كان عدد المترجمين هائلاً ، ويمكننا القول إن العلماء جميعاً ، الفلكيون وعلماء الهندسة والحسـاب كانوا عرباً اقحاماً ، فمنهم المسيحيون واليهود والفرس الذين يعرفون لغات اخرى غير العربية وعملوا مترجمين لمصلحتهم الخاصة او لمصلحة رعاة العلم » .

ويمكن أن نذكـر انه على عكس التوجـه الحالي الى الاختصاص الدقيق ضمن المهنة الواحدة ، فإن الوظائف والمهن كانت تتمايز بشكل كبير ، وهكذا ، ومن جهة أخرى ، كان يمكن أن يكون المرء طبيباً أباً عن جد ومترجماً ابأ عن جد .

لقد قدمت عائلة بختشيوع أو حنين بن اسحق مثالاً على هـذه الاستمرارية وعلينا ان نذكر أيضاً ان مصطلح **مترجم** في استخدامنا له يشير إلى وظيفة مرحلية في الغالب .

يروي ابن النديم أن الإخوة شاكر (ابو جعفر وحسن وأحمـد ، وكانوا مترجمين أيضاً) قد جلبوا مترجمين من مختلف المناطق .

ولم يكن هؤلاء المترجمون لغويين فقط بل مختصين في المجالات التي يترجمون عنها ، بخاصة فيما يتعلق بعلوم مثل الطب والفلك والرياضيات وكان هذان العلمان متلاصقين بشدة .

لقد كان حنين وتلميذه حبيش وحتى ابنه اسحق جميعهم أطباء ولقد رأينا أن حنيناً قد صنف طبيباً من قبل المؤرخين وأنه قد مارس الطب لدى الخليفة المتوكل ، وكان ابن قرة رياضياً وفلكياً . ويروي ابن جلجل انه كتب عدة مؤلفات في مجالات المنطق والفلك والرياضيات .

وتعود شهرة حنين ومدرسته الى أن المترجمين الذين انتموا إليها كانوا يملكون معرفة لغوية قوية وكذلك معرفة عميقة في المجال الذي يترجمون منه معرفة تكونت على شكل حلقة : فكان باستطاعتهم الترجمة بفضل حصيلتهم النظرية ومعارفهم التقنية إضافة إلى ان الترجمات التي قاموا بها كانت تعمق معرفتهم .

* * *

القسم الرابع

عمـل المدرسـة

يتميز عمل المدرسة بتوزيع أعمال الترجمة ، مما يشير إلى كمية النصوص المطلوب ترجمتها . ويتم هذا التوزيع على مستويين : توزيع وفاقاً لاختصاص المترجمين في هذا المجال أو ذاك ، وتوزيع أيضا بين مترجمين ومراجعـين يعملون على المستوى اللغوي ، أي على المستوى الشكلي بخاصة.

لنذكر اولاً أن اعمال الترجمة كانت مرتبطة بتنظيم بيت الحكمة حيث كان يتم نسخ المؤلفات وتجليدها ، بعد ترجمتها . ويبـدو أن المترجمين قد توزعوا الى مجموعات وفاقاً لاختصاصاتهم والمجال الذي يترجمون فيه ، ووضع على رأس كل مجموعة مراجع أو مصحح ، وبعد أن تتم ترجمة الكتب ، كان يعهد بها الى النساخ ثم المجلدين .

آ ـ اعمـال الترجمـة :

ا ـ **الاختصاص** : كان المترجون يترجون عموماً موضوعات مألوفة لديهم ، بخاصة حين يتعلق الأمر بالفروع العلمية مثل الفلك والطب . ويبـدو أن ترجمة الأعمال الفلسفية في حـد ذاتها كانت اقل دقـة في التوزيع . لنذكر ، من وجهة نظر أخرى ، الترابط بين علوم مثل الطب والفلسفة ، ألم يحدد غاليان تبعية الطب للفلسفة والروابط الدقيقةبين هذين المجالين ؟ ولقد ترجم مؤلفه « الطبيب الجيـد يجب أن يكـون فيلسوفاً » الى اللغة السريانية والعربية من قبل حنين .

وهكذا فقد ترجم حنين وحفيده حبيش وابنه اسحق ، وكانوا جميعاً أطباء ، معظم اعمال أبقراط ومؤلفات غاليان الطبية ، وساعدهم في ذلك مترجمون آخرون مثل عيسى بن يحيى واسطفان بن باسيل ، وبدرجة أقل إسحق .

ولنذكر ان اعمال ابقراط تعود الى عام ٤٦٠ ـ ٣٧٠ ق.م . وأن غاليان قد عاش في القرن الثاني الميلادي ، وكذلك الحال بالنسبة **للطب البيطري** لتيو مينست **والمادة الطبية** لديو سكورد .

يرى معظم المؤرخين ان اسحق بن حنين الذي أعطى جل اهتمامه للمؤلفات الفلسفية ، قد ترجم عدة أعمال لأرسطو وشارحيه .

وراجع ثابت بن قرة الرياضي والفلكي كتاب اقليدس الذي كان قد ترجمه الحجاج بن مطر من أجل الرشيد ثم المأمون ويجب الا ننسى أن جزءاً هاماً من الترجمة في مدرسة حنين تمثل في تنقيح الترجمات السابقة .

٢ ـ المراجعة والتصحيح :

كانت الترجمة عملاً جماعياً ، كما كانت تتم ، في الغالب ، على مرحلتين : الترجمة من اليونانية الى السريانية ، إذا لم تكن هناك ترجمة سريانية أو كانت هذه الترجمة سيئة جداً ، ثم كان الانتقال من السريانية الى العربية . من الممكن أن تكون المرحلة الأولى وسيلة لتسهيل مهمة المترجمين حيث القليل منهم كان يعرف اليونانية بشكل كافٍ كي يتمكن من الترجمة منها مباشرة ، غير أن الترجمات السريانية كانت مخصصة لكبار الشخصيات الذين كانوا يطلبون أن تترجم بعض الأعمال من أجلهم . ترجم حنين عدداً من مؤلفات غاليان من اليونانية الى السريانية أو نقّح ترجمات سريانية قائمة من أجل أطباء سريان مثل يوحنا بن ماسويه أو بختيشوع بن جبريل . وعموماً كان حنين ، الذي عرف

اليونانيـة ، يترجم الى السريانية ويترك لمساعديه مهمـة انتاج النص العربي ، انطلاقاً من ترجمته السريانية ، وكان يراجع النسخة الأخـيرة ويصححها على مستوى اللغة العربية اي على مستوى الشكل .

ويمكن القول إن المختصين المكلفين بترجمة المؤلفات القديمة كانـوا يقومون بإعادة صياغة المضمون ، ولكن لما لم تكن العربية لغتهم الأصلية إلاّ فيما ندر ، كان لا بد من مراجعة على مستوى الشكل . وكان يقـوم بالمراجعة رؤساء المترجمين مثل حنين وثابت . وتظهر هـذه الطريقة في توزيع المهام عبر رسالة حنين الذي يذكر مثلاً عدة ترجمات عربية لمؤلفات غاليان قام بها مترجمون مثل اسطفان بن باسيل وعيسى بن يحيى ، قام حنين بمراجعتها بالمقارنة مع أصلها اليوناني .

ويبدو أن الترجمات تخضع بشـكل نظامي لتقييمه وتصحيحه ، إذا كان هذا ضرورياً . ويذكر حنين ترجمة الى العربية قام بها عيسى ابن يحيى ، قدّر أنها كافية وايدها .

لم يكن حنين يملك دوماً الوقت الكافي للقيام ببعض الترجمات التي يكلف بها ، فكان يعهد بها الى مساعديه .

وينقل ابن ابي أصيبعة أن حنيناً كان يدعو احياناً شخصـاً يدعى قيظا الربهاوي ، حين لا يجد الوقت لترجمة الكتب التي تصله . فكـان قيظا الربهاوي يقوم بالترجمة فيما يصحح حنين عمله .

ب ــ المهام الملحقـة :

١ ــ **النسـخ** : ما أن تتم الترجمة وتصدق من قبل المراجع حتى يكلف ناسخون بنسخها ــ وكان بخدمة حنين ناسخ يدعى الأزرق . لـم تكن هذه المرحلة غير ذات فائدة ... ودون مخاطر ، إذا اخذنا بعـين الاعتبار التعديلات التي يقوم بهـا الناسخون احياناً ، عـن قصـد أو غـير قصـد .

ويروي حنين في رسالته ، المبادرة (السيئة) لاحـد الناسخين ، بشأن ترجمة كتاب لغاليان « كيف نتعرف على الأمراض الباطنية » التي قام بها سيرجيوس وراجعها حنين بناء على طلب بختيشوع بن جبريل. ولقد فضل حنين إعادة الترجمة بشكل كامل إذ لم يكن الناسخ يكتفي في الواقع بالتعديلات القائمـة بل كان يبـدل تصحيحـات حنين بأخـرى من صـنعه .

٢ ـ التجليد :

يمكننا ان نفترض انه ما أن كانت تتم الترجمات حتى يتم تجليدها لتأخذ مكانها بين العديد من الكتب التي يضمها بيت الحكمة . ويذكر ابن النديم ان المدعو ابن أبي الحريش كان مجلداً لدى خزائن الحكمة في عصر المأمون . بعد الانتهاء من تجليد الكتب كان يتم تصنيفها . ويبدو أن عددها كان يحتم القيام بتصنيف موضوعي لها .

يرى ابن نباته ، الكاتب الذي عاش في القرن الرابع عشر ، في كتابه « سرح العيون » أن سهل بن هارون قد كلف من قبل المأمون بالاهتمام بكتب الفلسفة التي أرسلت اليه من جزيرة قبرص .

ج ـ مكانة المترجمين وتعويضاتهم :

نلاحظ من خلال قراءة المؤرخين الذين نعتمد عليهم في دراستنا هذه أن المترجم في قصر الخلفاء العباسيين ، بخاصة تحت حكم الخلفاء الذين كانوا يشجعون العلم وانصاره ، قد تمتع بموقع متميـزا واستفاد من مكانة سامية ، اضافة الى الاجور التي يدرها عليه عمله ، وهذا امـر سنعود اليه فيما بعد .

كان المترجمون في الغالب ، أطباء أو رياضيين واستفادوا ، اضافة الى شهرتهم اللغويـة أو الترجميـة ، من تقدير رجـال العلم لهم في عصر لم يكن فيه اكتساب المعرفة او الوصول الى العلم موضع تشجيع

الخلفاء فقط ــ ضمن سياسية لغوية (تعريب الامبراطورية) وعلمية في الوقت نفسه سندرسها بتفصيل اكبر في القسم السابع ــ بل كان يمثل احدى اسس المدينة الاسلامية ايضاً .

تتيح دراسة المؤرخين العرب رؤية التكريم الذي حظي به المترجمون والمكانة المتميزة التي تبوؤها غالباً في البلاط . ينقل ابن أبي أصيبعة أن المأمون قد اغدق المال والهدايا على حنين مقابل الترجمات التي طلبها منه من اليونانية الى السريانية .

ويروي هذا المؤلف نفسه أيضاً ان جبريل بن بختيشوع الطبيب الذي ترجم له حنين عدة مؤلفات لغاليان من اليونانية الى السريانية ــ قد حسد حنيناً على تميزه في الترجمة وموقعه السامي لدرجة انه دس عليه لدى الخليفة المتوكل مما أدى الى سجن حنين .

ويشير ابن العبري الى الاحترام الذي كان يتوجه به جبريل هذا الى حنين ، كما ينقل القفطي ايضاً ان حنيناً قد حاز على تقدير كبير في محيطــه .

ويقدم ابن النديم وابن ابي اصيبعة معلومــات ثمينة حول أجور المترجمين . ويتفق كل المؤرخين على القول ان المترجمين قــد أجزوا العطاء وان اموالا طائلة قد خصصت للترجمة سواء على شكل دفعات فردية تتم وفاقاً لتقدم الاعمال المطلوبة او على شكل دفعات منتظمة أو أجــور .

ويوضح ابن النديم ان الاخوان شاكر قدموا راتباً شهرياً وصل الى / ٥٠٠ / دينار(*) للمترجمين الذين استخدموهم في ترجمة مؤلفات

(*) يمثل الدينار ٤٫٢٥ غراماً من الذهب . وكان الدرهم وحدة نقدية من الفضة ويساوي الدينار ٢٠ درهما .

قديمة الى العربية ، وبالمقابل كان على المترجمين ان يلتزموا بالترجمة بشكل منتظـم .

ويتحدث القفطي وابن اصيبعة أيضاً ، بالفاظ مشابهة ، عن دفع اجور المترجمين . وبمكننا ان نتحدث ، على هذا المستوى عن الترجمة باعتبارها فعالية قائمة بذاتها .

يقدم ابن ابي اصيبعة معلومات اخرى عن طريقة مكافاة المترجمين ، فهو ينقل ان المأمون كان يقدم لحنين وزن ما يترجمه الى العربية ذهباً

وشكلت هذه الترجمات ـ التي كانت يد الأزرق ، ناسخ حنين ، تقوم بكتابتها ـ صفحات ضخمة وثقيلة . ويتابع هذا المؤلف شارحاً أن حنيناً كان يسعى الى زيادة حجم المؤلف وكذلك وزنه ، طالما انه سيتلقى وزنها دراهماً . . . ويختتم مؤلف « العيون » منوهاً بالميزة التي يقدمها هذا النوع من الورق الذي استطاع ان يقاوم السنين .

لنذكر ان ابن ابي أصيبعة قد كتب مؤلفه في القرن الثالث عشر ، اي بعد خمسة قرون من العصر الذي نتحدث عنه .

ومن حقنا أن ندهش من الثقة التي منحها الخليفة للمترجم الذي كلفـه أن ينقل الى العربية كنوز العلم اليوناني مقابل وزن ما يترجمه ذهباً ، كما يدهش استئناف هذه المكافآت بالنسبة للأعمال الحالية التي تدفع على الصفحة او الكلمة .

لنذكر ان الترجمات الى العربية كانت تتم من خلال السريانية سواء بسبب وجـود النسخة السريانية القديمة أو وفاقاً لمنهجية تقوم على ترجمة النصوص اليونانية في مرحلتين ، تكون الاولى منها الى السريانية.

سنعود الى طريقة العمل هذه من خلال دراسة منهجيات الترجمة نفسـها .

القسم الخامس

المنهجيات المتبعة

نود ان تؤكد ، في هذا العرض لمنهجيات الترجمة التي اتبعها حنين بن اسحق ومدرسته ، أن دراستنا لا تسعى الى نقد الترجمات العربية المتوفرة والمنسوبة الى حنين ومساعديه ، ولا الى المقارنة بين اللغتين ولا الى دقة وجهة النظر اللغوية والمضمون ، فهذا امر يتجاوز إطار بحثنا .

إننا نسعى الى تصنيف منهجيات الترجمة وتحليلها كما وصلت إلينا ، مجزاة في الغالب ، من خلال المؤلفين العرب ومن خلال حنين نفسه ، في رسالته النقدية حول الترجمات السريانية والعربية لأعمال غاليان ، أو كما تتبدى لنا هذه المنهجيات ، على هامش بعض المخطوطات، على شكل شروح او هوامش للمترجمين أو الناشرين ، وهذا من أجل استنتاج مشكلات الترجمة التي عرفت في ذلك الزمان ، وإقامة رابط مع المشكلات الحالية .

وسنبذل الجهد ، قدر الامكان ، من أجل تكامل هذه الأفكار مع الإطار الأوسع لنظريات الترجمة ، ذلك العلم القائم بذاته ، والذي نحن بصدد دراسته . ومن أجل الاطلاع على اعمال النقد النصي ، نعيدالقارىء الى مؤلفات ع. بدوي ، وج. بيرغستريسر اللذين وردنا على ذكرهما . وسندرس الملامح المسيطرة على عمل حنين وجماعته من التلاميذ والمساعدين على مستويات ثلاثة هي : نص البداية (الموضوع واللغة) ،

العملية الترجمية (الفهم وإعادة بناء النص) ونص الوصول ، وذلك من اجل تقريب عمل هؤلاء المترجمين من التحليلات النظرية للترجمة والتفسيرات التي نعتمدها الآن .

آ ـ تحقيق النصوص :

تظهر دقة حنين ، على مستوى مقارنة مختلف المخطوطات الموجودة للكتاب نفسه وعلى مستوى نقد المصادر ، واضحة في **رسالته** . وقد أشار ، في الواقع ، مرات عدة الى انه يسعى ، بدقة ، الى تحقيق صحة نص البداية ، قبل الشروع في الترجمة ، وإليكم ما كتبه حول كتاب غاليان « **طبقات الأطباء** » ، الذي ترجمه ، في شبابه ، عن مخطوط يوناني مخرب :

> **« فيما بعد وحين وصلت الى سن الاربعين ، طلب مني تلميذي حبيش ان اصححه (اي المخطوط اليوناني) بعد ان كنت جلبت عدداً من المخطوطات [للنص نفسه محفوظة في بيت الحكمة او مكتشفة اثناء الأسفار] . قارنت جميع هذه المخطوطات من اجل اعتماد نص صحيح ، ثم قارنت هذا النص مع ترجمتي [الاولى] السريانية من اجل تصحيحها ، واتبع النهج نفسه في ترجماتي كلها » .**

كان حنين يسعى الى تجميع عدة مخطوطات للكتاب نفسه ، من اجل تحديد نص صحيح قبل إخضاع الكتاب لعملية الترجمة ، او انه في حال وقوع مخطوطات أكثر وثوقية بين يديه ، بعد ترجمة الكتاب ، فانه كل يراجع ترجمته على ضوء المخطوطات الجديدة .

ويتحدث حنين أيضاً عن طريقة عمله قبل ترجمة كتاب « **حول فضائل الأغذية** » :

« لقد ترجمه سرجيوس ثم ايوب وترجمته من اجل سلمويه ، انطلاقاً من نسخة غير صحيحة ، ولاحقاً ، فرغت نفسي من اجل نسخة لإبني ، وجمعت لذلك عدة مخطوطات يونانية ، وقارنت إذن نسختي مع الأخريات وصححتها » .

وتقدم ترجمة « **المقالة من اجل المحافظة على الصحة** » مثالاً آخر على التقرب المعتمد :

« قدم تيوفيلوس ترجمة سريانية سيئة عن هذا الكتاب . ولقد ترجمته من اجل بختيشوع بن جبريل في وقت لم يكن عندي سوى مخطوط واحد ، واكتشفت لاحقاً مخطوطاً يونانياً آخر فقارنت بينهما وصححت ترجمتي انطلاقاً من النص اليوناني » .

كان حنين يقوم ، إذن ، بعملية مقابلة بين المخطوطات المختلفة حين توفرها من اجل تحديد نص البداية الصحيح والأصيل قدر الإمكان ، والذي يمكن ترجمته .

ولقد ترافقت هذه المتطلبات على مستوى النقد النصي ، بكل تأكيد ، بالبحث عن المخطوطات ، ليس من اجل الحصول على النصوص القديمة من أجل ترجمتها فقط ، بل من اجل تجميع اكبر عدد ممكن من النسخ للكتاب نفسه أيضاً ، تلك النسخ المخطوطة التي تسمح بعد مقارنتها ، باستبعاد النسخ الأكثر خطأ ، وبالقيام بعملية تقاطع بين النصوص . لقد تحدث المؤرخون عن هذا الحماس في البحث عن المخطوطات ، كما ميّز هذا الحماس حركة الترجمة عموماً ومدرسة حنين بخاصة .

تحدث حنين عن سعيه ، الذي لا يكل ، للحصول على المخطوطات اليونانية في بلاد الشام وفلسطين ومصر ، من اجل ترجمة «**برهان**» غاليان الذي كان يفتش عن مخطوطه الأصلي .

ويروي بالطريقة نفسها ، مقابلة شفهية، بدت في النهاية غير مرضية، من اجل كتاب لغاليان كان قد ترجم الى السريانية من قبل سرجيوس والذي اراد سلمويه تنقيحه

ونجد الاهتمام بالنقد النصي لدى المترجمين والناشرين المتاخرين انطلاقاً من نسخ سريانية هذه المرة . يؤكد الحسن بن السوار ، الطبيب والفيلسوف (المولود عام ٩٤٢) ، والذي نشر الترجمة العربية « لاورغانون » أرسطو المحفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس والذي يحمل العديد من الهوامش بخط يده ، على هامش التفنيدات السوفسطائية ما يلي :

« ونتيجة لرغبتي في تحديد ما قدمه كل منهم [المترجون السابقون] ، قمت بجمع كل الترجمات التي وصلتني كي اتمكن ، من خلال دراسة كل منها ، من الاستعادة من بعضها من اجل البعض الآخر في إدراك المعنى » .

إنها الطريقة التي طبقها حنين على المخطوطات اليونانية أو النسخ السريانية لهذه المخطوطات .

ب ـ عملية الترجمة :

ما أن يتم تحقيق نص البداية ، في حال وجود عدد من المخطوطات للبحث نفسه ، حتى يُسرع في عملية الترجمة . إننا امام تأويل حقيقي للنص المطلوب ترجمته ، وتلك مرحلة وعاها بعمق المترجم دون ان تصاغ اهميتها النظرية على مستوى الترجمة . ويبدو هذا التفسير ، هذا **التحليل للخطاب** ، إذا اردنا استخدام تعبير جان دوليل ، بوضوح عبر **رسالة** حنين باعتبارها منهجية الترجمة المتبعة في المدرسة .

ويبدو أن النصوص قد خضعت الى عملية تأويل ، قبل الترجمة ، من قبل المترجمين الذين كانوا ، في معظمهم ، مختصين في المجال الذي يترجمون فيه .

لقد كانت معرفة الموضوع الشرط الحاسم في كل عمليـــة ترجمة محترمة إذن . وينطبق هذا الأمر ايضاً ، بشكل خاص ، على ترجمة النصوص الطبية ، فكان حنين طبيباً مشهوراً ، وكان الأمر كذلك بالنسبة للعديد من مساعديه وتلاميذه . كما اعتبر المؤرخون معرفة الموضوع أساساً في شرح نوعية الترجمات .

وهكذا ، يشير ابن ابي اصيبعة الى أن معرفة آراء غاليان كانت احد الأسباب لتفوق حنين باعتباره مترجماً للنصوص الطبية .

وعلى عكس ذلك ، لم يكن حنين ضليعاً في الرياضيات ، ويروي الصفدي ، احد مؤلفي القرن الحادي عشر ، ان ترجمات حنين لم تكن تتطلب مراجعة إلاّ في مجال الرياضيات ، وان كتاب « اقليدس » قد صحح من قبل ثابت بن قره .

لنذكر هنا أن **العناصر** كانت قد ترجمت ، قبل حنين ، من قبل الحجاج بن مطر ، وان المصحح ثابت بن قره كان مشهوراً باعتبـــاره مترجماً ورياضياً وفلكياً ، ويتحدث ابـن خلكان أيضاً عن مراجعـــة **العناصر** هذه من قبل ثابت الذي حسّن نسخة حنين وعدلها .

لقد ارتبطت الترجمة إذن باستخدام هــذه الأعمــال القديمة في مجالات الاختصاص التي تعود لها .

تفسر معرفة الموضوع ، دون ادنى شك ، الدلالة العميقة للنقد على مستوى تحقيق النصوص المخصصة للترجمة . فكان على المترجمين مقارنة مختلف المخطوطات ، وإجراء تقاطعات ، واختيار – من بـين مختلف الاحتمالات – تلك التي تبدو لهم اكثر صحة ومعقولية ، وذلك من خلال معرفتهم لمضامين هذه المخطوطات .

« كانوا يقومون باغناء تفاصيل النص المعد للترجمة ، من خلال معارفهم الخاصة عن الحالات المشابهة لتلك التي

يثيرها النص ، ويستنتجون بذلك المعنى المحتمل لهـذا المقطع الغامض ... » .

ويبدو انه قد انتشر استخدام الملخصات ، في نصوص الوصول ، انطلاقاً من النصوص الأصلية . ولقد ترافق العديد من الترجمات ، في الواقع ، بملخصات دعيت « جوامع » تارة و « مختصرات » تارة أخرى ، في المصادر العربية مما يظهر بوضوح أن المترجم كان يتخلى عن الشكل ليركز على المضمون كي يؤدي معنى النص ، ولم يقم المترجمون انفسهم او المؤرخون بالتمييز ، ضمن هذه الترجمات بين ما هو ترجمة حقيقية أو شـروح .

وحين يشير القفطي الى تميز حنين في الترجمة ، يضيف قائلاً :

« إنه هو الذي اوضح مؤلفات ابقراط وغاليان ولخصها بافضل السبل وكشف غموضها » .

ونجد الكلمات نفسها عند ابن ابي اصيبعه في وصفه لأعمال الترجمة التي قام بها حنين .

نحفظ إذن من العمل الترجمي لحنين واقعة انه قد اتاح الاطلاع على اعمال ابقراط وغاليان ، من بين آخرين .

وينقل ابن ابي أصيبعة أن حنيناً قد قدم تلخيصاً سريانياً لكتاب غاليان حـول العقاقير البسيطة ، وهو عبارة عـن كتاب يحتوي على أحد عشر فصلاً ترجم حنين منه الجزء الأول الى العربية ، خمسة فصول من أجل علي بن يحيى .

إذا نحن عدنا الى **رسالة** حنين لوجدنا أن كتاباً مثل « تشريح الحبال الصوتية » المنسوب الى غاليان قد تم شرحه باللغة السريانية .

غير أن حنيناً لم يحدد فيما إذا كان قد ترجم بالفعل هذا الكتاب أم أنه صحح ترجمة سابقة .

لقد ارتبط الأمـر بتحقيق المضمون بشكل مستقل عن الشكل . وسنرى لاحقاً انه قد تمت المحافظه بدقة على الشكل ، على مستوى لغة الوصول .

ترافقت الترجمة بالشروح أحياناً ، كما هو الحال مع شرح حول « قِسَمْ ابقراط » ، إذ يشير حنين الى انه قـد أضاف الى ترجمته السريانية شرحاً متعلقاً بالفقرات الصعبة .

ويلحق بالترجمـة أحياناً شـرح أو ملخص لأعمال اخرى مـن الاختصاص نفسه كما حصل بالنسبة لكتاب « **حول فضائل الأغذية** » .

لم يطبق هذا الأمر على أعمال ابقراط وغاليان فقط ، إذ ترافقت **مقالة الروح** لأرسطو المترجمة إلى العربية ، بتلخيص قام به اسحق . وعلى الرغم من أن هذه الطريقة تؤمن تحقيق مضمون الخطاب المكتوب ، اي تكوين المعنى الذي ينبثق عن المستند اللغوي والعناصر غير اللغوية ، مثل المعرفة التي يمتلكها المترجم عن الموضوع المعالج، فمن حقنا التساؤل فيما إذا كانت محاولات التلخيص أو الشرح تتجاوز ، نوعاً ما ، الهدف الأول للترجمة الذي يسعى إلى إظهار المعنى وجعله مفهوماً دون الوصول إلى الاقتباس كما تقول د. سيليكوفيتش :

> **« يجب ان نميز بين المعنى والاستنتاجات التي مـن المناسب ان نستخرجها منه ... يلاحظ عالم الترجمة أن المعنى يتجاوز المدلول ، وهو ما يتلقاه كل منا مع القول . ويتطلب الا تقتصر الترجمة على النقل ، ولا ينصح ، مـع ذلك ، بان يحل الشرح محل كل ما نريد قوله ، ويريد ، على العكس من ذلك ، ان ننقل مانريد قوله كاملاً إلى قـارىء النسخة المترجمة » .**

تعتبر الشروح المرافقة للترجمة ، في الواقع ، منهجيــة تحليــل ضرورية لفهم نص البداية وهي سابقة للعملية الترجمية .

ومن جهة اخرى ، نجد على هامش الترجمة العربية لـ «السفسطة» المشار إليها سابقاً ، هذه الملاحظة للناشر ابن سوار ، على احدى النسخ العربيــة :

ترجم يحيى هذا الكتاب قبل شرحه ، ممـا يفسـر صعوبات الفهم ، ذلك انه لم يسيطر على معنـاه واتبّـع (الترجمه) السريانية في ترجمته » .

كان حنين يفضل الإعادة الكاملة حين يرتبط الأمر بتنقيح الترجمات السابقة ، ذلك أنها كانت تتطلب العديد من التعديلات الأساسية .

ويمكن لأي مترجم يطلب إليه القيام بمثل هذا العمل ، أي تصحيح ترجمة ـ يرى أنها تحتاج إلى تنقيح كبير ـ أن يفهم تردد حنين ويفضل، مثله أن يبدأ من جديد ويترجم مباشرة عن النص الأصلي لأنـه مدرك للتقييد الذي يمكن ان تجر إليه جاذبية اللغة ، رغم أن الحل الأول يبدو أكثر سهولة وسرعة إذا نحن نظرنا إليه نظرة خارجية .

لم تكن الترجمة عملاً حرفياً ومنغلقاً على نفسـه . فما أن تلخص هذه الأعمال الكلاسيكية وتشرح سواء كانت في مجال الطب والفلك والفلسفة الخ حتى ترفد فكر العلماء المجتمعين في بغداد ، وهذا ما يفسر أهمية تحليل النصوص ، تلك المرحلة الأساسية في كل ترجمة والتي تأخذ شكل شروح أو ملخصات تصاحب الترجمة نفسها .

ومن جهة اخرى ، ساهمت الترجمات العربية لأعمال ارسطو في إثارة النقاشات الفلسفية وتكاملت بذلك مع النظام الفلسفي للحضاره العربيـــة الاسلامية .

جـ ـ نص الوصول :

بما أن معظم المترجمين إلى اللغة العربية لم يكونوا عرباً أصلاء ، كان من الواجب مراجعة النص ، من حيث الشكل ، في لغة الوصول ، لقد ترجم اسطفان بن باسيل من اليونانية إلى العربية **كتاب النباتات** لديوسكوريد وصحح حنين عمله على مستوى اللغة العربية .

يتفق المؤرخون على امتلاك حنين ومساعديه المقربين ، مثل حبيش واسحق لناصية اللغة العربية. يقول ابن النديم : «إن اسحق كان افضل من ابيه في استخدام العربية . أما حبيش الأعصم ، حفيد حنين وتلميذه المفضل ، فقد كان أسلوبه قريباً من أسلوب حنين ، ولقد راينا أن ترجماته قد نسبت في اغلب الاحيان الى حنين » .

وتحتوي **الرسالة** الى علي بن يحيى على ملاحظات حنين حول مميزات حبيش ، الذي كان حماسته للعمل أقل من ذكائه وتوقد ذهنه .

لقد علق حنين اهمية كبيرة على الشكل وعمل على احترام قواعد لغة الوصول سواء كانت السريانية أم العربية . ولقد كتب في رسالته حول كتاب غاليان « الامتلاء » ، أنه قد لجأ ، من أجل ترجمة هذه الكتاب إلى الكلمة الأكثر دقة والأسلوب الأكثر بلاغة .

ونستعين هنا بملاحظات ف. بيترز حول الفروق بين الترجمات السريانية (السابقة لترجمات حنين) ونسخها العربية . إذ تلفت الترجمات السريانية الأولى بحرفيتها . ويرى ف. بيترز أنها ظاهرة فقه لغوية ، فالنسخ السريانية أقرب الى شكل النص اليوناني من النسخ العربية ، ذلك لأن السريانية تتكيف بشكل افضل بفعل بنيتها مع بنى اللغة اليونانية .

١ ـ المشكلات المصطلحية :

نجد المشكلة نفسها على مستوى المفردات : يقدم ف. بيترز مثالاً على ذلك العدد المحدود من الألفاظ اليونانية التي أدخلت في النص العربي

بالمقارنة مع ما نجده في النص السرياني ، لقد حدث تطور ، في الواقع : فإذا كانت بعض الألفاظ اليونانية موجودة في الترجمات العربية الأولى فقد استبدلت بألفاظ نحتت انطلاقاً من جذور عربية .

أما بالنسبة للألفاظ التي لم تكن متاحة بشكل مباشر في العربية ، فقد لجأ المترجمون ، إما الى الاستدانة المباشرة لألفاظ يونانية حرفية يتم تعريبها صوتياً ، أو الى تكوين ألفاظ جديدة .

وكانت الاستدانة المباشرة الحل الأكثر استعمالاً لدى أوائل المترجمين الذين لم يكونوا قادرين على الاشتقاق من مفردات عربية اغتنت بمفاهيم جديدة وألفاظ علمية ، أو أن عدم تمكنهم ، بشكل كافٍ باللغة العربية وآلياتها ، لم يسمح لهم بنحت ألفاظ جديدة مستخدمين الجذور العربية . وكانت الاستدانة المباشرة كثيرة الاستخدام لدى المترجمين من اليونانية الى السريانية .

ونجد هذه الاستراتيجية ، مثلا ، في الترجمة العربية **لكتاب النبات** لايو سكوريد ، تلك الترجمة التي تمت عن اليونانية من قبل اسطفان بن باسيل . لقد ترك المترجم أسماء النباتات ، التي لا يعرف مقابلها العربي ، باليونانية . وعندما صحح حنين بن اسحق هذه النسخة، وضع المقابل العربي لهذه الأسماء اليونانية . وإذا نحن تفحصنا المخطوط رقم ٢٨٤٩ في القسم العربي من المكتبة الوطنية (بباريس) الذي يذكر أن ترجمة اسطفان بن باسيل قد صححت من قبل حنين ، نلاحظ أنه قد تمت المحافظة على الأسماء اليونانية للنباتات والأشجار التي قدمتها ترجمة اسطفان الى جانب الأسماء العربية التي صححها حنين .

وهناك مثال على الاستدانة : إنه لفظ NAMUS من اليونانية VOMOS الذي نقل الى العربية **ناموس** بمعنى قانون ومنح جمعاً مقبولاً صرفياً في اللغة العربية .

وبرجح أن تكون « قوانين افلاطون » قد ترجمت الى العربية من قبل حنين ثم يحيى بن عادي . ولقد ترافقت الاستدانة المباشرة للألفاظ اليونانية غالباً بشرح عربي أو ملاحظة هامشية في المخطوط ٢٨٦٠ المحفوظ لدى المكتبة الوطنية ، وتقدم رسالة غاليان الى غلوكون على النحو التالي :

يقول حنين : « إنهـا أمراض تحـدث على مستوى (الغـدد) ولا نعـرف لفظـاً عربيـاً يقابلها . ولقـد قام غاليان بشرحها » .

وهكذا ، لمـا أعيدت الترجمات الاولى من قبل مترجمي الجيـل الثاني ، استبدلت الألفـاظ اليونانية ، المنقولة الى النسخة العربية ، بألفاظ عربية ، رغم أنها قد نقلت بشكل تتوافق فيه مع القواعد الصوتية للغـة العربيـة ؛ مثـال ذلك لفظ Kategriae اليوناني ، ظهر معرباً « كاتيغورياس » ، قبل أن يترجم ، في النسخ العربية المتأخرة ، بمقابله **مقولات .**

نجد الظاهرة نفسها في أيامنـا هذه ، من خـلال دخول الألفاظ الأنكلوسكسونية في اللغة الفرنسية ، حيث تستخدم الألفاظ كما هي مثل Software ، ثم تستبدل بمقابلها الفرنسي Logiciel ، وبذلك تصبح أكثر قبولاً لدى القارىء المستقبل للنص المترجم وأكثر انسجاماً مع روح اللغـة .

وكما تكتب د. سيليكوفيتش :

« من المهم الاشارة الى انه عندما يصبح « الشيء » الذي نستورده مع التسمية الأجنبية ، حقيقة ملموسة لدى الجماعة اللغوية ، تميل هذه الجماعة الى أن تمنح اسماً أكثر انسجاماً مع روح لغة هذه المجموعة . وهكذا ، إن لفظـة Gratte-Ciel (ناطحة سحاب) ، التي تترجم حرفيـاً عن الانكليزيـة Sky-Scraper ، لم تستعمل للاشارة الى «شيء»

فرنسي . ومنذ ان شرعنا في بناء ناطحات السحاب في فرنسا سميناها « ابراجاً » Tours . ونتحدث اليوم عن « برج مون بارناس » الآن او « أبراج الدفاع » .

ودائماً وفي إطار احترام لغة الوصول ، نتمنى أن نشير الى عنصر خارج اللغة يمكن أن يؤثر على مستوى اللغة العربية : إنه المظهر المقدس للغة ، لغة الوحي القرآني ، اللغة الغنية والقوية في الوقت نفسه ، والتي لا يمكن تعديلها على هوى المترجمين لتسهيل مهمتهم والوصول ، على المدى البعيد ، الى نصوص يصبح من الضروري ، من أجل فهم مضمونها، ان نقارنها مع نصوص البداية الأصلية .

ومن أجل توضيح اهمية شكل لغة الوصول ، سنذكر هنا رأياً لحنين نقله ابن أبي أصيبعة . شكا حنين من تكران الجميل وازدواجية بعض رفاقه وزملائه الذين كانوا يدسون عليه لدى الخلفية المتوكل ، غيرة من شهرته :

« لقد رأوا أنني متفوق عليهم بعلمي وعملي ، وكذلك بترجمتي للعلوم الشهيرة من لغات لا يملكون ناصيتها أو لا يعرفونها ، وذلك باسلوب وتعبير من الأكثر نقاء ودون غلط أو خطأ من وجهة نظر النحويين العرب الذين يعرفون قواعد النحو ، ولا يجدون اي خطا أو أي إعراب أو دلالة غير صحيحين ، وضمن أسلوب عذب جداً ، وواضح جداً ، يستطيع فهمه غير المختص بالطب والذي يجهل دروب الفلسفة » .

ويتابع فيما بعد ، مشيراً الى تفوق ترجماته على الترجمات السابقة .

إن ملاحظات حنين حول القواعد الواجب اتباعها في لغة الوصول هامة وتشير الى الفرق القائم بين أعمال مدرسته وترجمات الجيل

الأول ، تلك الترجمات التي تمت بشكل رئيس الى السريانية ، والتي تركز على شكل نص البداية من وجهة نظر كميه وعلى حساب ثقل المضمون ، مما جعل النسخة الأصلية ، اليونانية هنا ، ضرورية للمترجم اللاحق كي يفهم النسخة السريانية . كانت هناك إذن خسارة في المضمون في نص الوصول نتيجة الالتصاق الشديد بنص البداية .

ونجد ايضاً في ملاحظات حنين ، المترجم الناشر الذي وضع النصوص التقنية في متناول الجمهور **العريض** ، الحرص الذي يكمن وراء الاهمية المعطاة لفهم النص ، وليس فقط لسلامته اللغوية .

يصف ج. بيرغيستريسر ترجمات حنين قائلاً :

« إنها كانت اكثر سلامة لغوياً وتعطي الانطباع بأنها نتيجة امتلاك سلس وعميق للغة وليست نتيجة جهد قلق ، وقد ظهر هذا الأمر في التكييف السهل للأصل اليوناني وفي الدقة المدهشة للتعبير المنتج دون إسهاب » .

٢ ـ اهمية المتلقي :

إذا كان المترجم متلقياً لبلاغ ، بالدرجة الأولى ، عليه أن يستخرجه من شكل نص البداية ، فيجب أن تؤخذ اهمية المتلقي/القارىء ـ طالب الترجمة في حالنا هذا ـ بالحسبان في مكان ما على مستوى إعادة صياغة البلاغ في نص الوصول ، بكل تأكيد . غير أن الأمر يكون كذلك في بعض الحالات على مستوى مضمون نص الوصول نفسه ، كما يبين ذلك المثال التالي : تقدم ترجمة عربية لنص بلوكتوس (الذي فقد أصله اليوناني) قام بها اسحق بن حنين تحريفاً للنص اليوناني تكشف جزءاً منه عبر تفنيد قدمه جان فيلوبون ؛ ينقل ع. بدوي في كتابه « انتقال الفلسفة اليونانية الى العالم العربي » أن المترجم قد ترجم تعبيراً يونانياً يعني « علة » أو « مبدأ » كل شيء بـ « الله تعالى » في النص العربي ، كما

عالج بالطريقة نفسها الفاظا أخرى حين كان النص يمس الحساسية الدينية لعالم المؤمنين سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين ، تتوجه إليهم الترجمة .

انظر الطبعة التي قام بها البدوي في كتابه « الأفلاطونية الجديدة لدى العرب » من أجل الترجمة العربية .

يقوم القارىء هنا بدور حاسم . ويمكننا القول إن هذا المثل إنما يقع ضمن التقاليد الافلاطونية الجديدة التي نفذت الى الأجواء السريانية واثرت في الترجمات السريانية لأرسطو ، ذلك أن الأفلاطونيين اليونانيين الجدد قد استخدموا المصطلحات التي استعملها أرسطو بمعنى وتفسير آخرين .

يلح حنين على الأهمية التي يمنحها لقراء ترجماته ، بخاصة على مستوى التركيب اللغوي ، كما أنه يحرص على جعل ترجماته واضحة لكل غير مختص يخطر له أن يعود إليها ، مدركاً أن المسألة الأساسية هي تحقيق الفهم والقبول لدى القارىء ، لنذكر أن ترجمات حنين قد خصصت في الغالب لطلاب في الطب ذلك أن دراساتهم كانت تقوم على المؤلفات الغاليانية .

يعتبر حنين ، في الصفحات الأولى من رسالته ، المتلقي أحد العناصر المساهمة في صياغة الترجمة، حين يكتب موضحاً حول ترجماته لأعمال غاليان ، من بين غيرها :

« من ترجم هذا المؤلف من بين الكتب التي ترجمت من مترجمين غيري ؟ ما كانت قوة كل من المترجمين ومن اجل من ترجموا ؟ ولأجل من ترجموا ولأجل من أترجم انا نفسي كلاً من هذه المؤلفات ؟ وفي أية فترة من حياتي ؟ ذلك أن هذين أمران هامان يمكننا أن نرغب في معرفتهما لأن الترجمة تتعلق بقوة المترجم والمتلقي » .

ولقد وضح هذا الرأي لاحقاً حول ترجماته لكتاب **حول النبض** التي حسّنها ، وفاقاً لمعرفة القارىء وفهمه لهذه الترجمة التي تمت لحساب سلمويه .

ربما ظهر تفسير لهذا الأمر ، في أن سلمويه كان زميلاً وخصماً ناقداً ، ويتابع حنين فيما بعد القول حول الكتاب « حول العظم » حيث سيطر اهتمامه بالوضوح والدقة :

« لقد قدم سيرجيون عنه ترجمة رديئة . ومنذ سنوات كنت قد ترجمت هذا المؤلف من اجل يوحنا بن ماسويه ، وأردت أن اعبر عن مضمونه بالكثير من الوضوح والشرح . ذلك أن هذا الرجل يحب القول الواضح ويشجعنا دوماً على الكلام الواضح . وكنت قد ترجمته الى العربية من أجل أبي جعفر » .

نرى أن كل مرحلة من الفعالية الترجمية كانت تحظى باهتمام خاص . ويشير حنين الى كل مرحلة من هذه المراحل ، عبر أفكاره ، دون أن يصل ، مع ذلك ، الى رسم لوحة كاملة حول مهمة المترجم . ونستطيع بسهولة أن نستخلص الاهمية التي يمنحها أولاً لنص البداية، رافضاً ترجمة نص خطأ أو ناقص ، ثم لتحليل هذا النص آخذاً بعين الاعتبار نوعية قارىء ترجمته ، وأخيراً احترام شكل نص الوصول ، أي احترام عبقرية لغة الوصول .

د ــ نقل أم ترجمة :

ننهي هذا الفصل ذاكرين التقسيم الذي قام به الصفدي بين مدرسة حنين ، بالمعنى الواسع للكلمة ، والمترجمين السابقين . وربما كان هذا التقسيم حاسماً بشأن ترجمات المترجمين الأولين .

« هناك منهجان لدى المترجمين ، المنهج الأول ليحيى بن البطريق وابن نعيمة الحمصي ، والآخرين ، كان المترجم يهتم بكل كلمة يونانية ودلالتها ، ثم يقدم الكلمة العربيـة المقابلة لها بالمعنى ويترجمها ، ثم يأخذ كلمة أخرى وهكذا تنتهي الترجمة . وتعتبر هذه الترجمة رديئة لسببين : ذلك أن الكلمات اليونانية ليس لها كلها مقابل بالعربية . وهكذا تبقى عدة كلمات يونانية كما هي ، في مثل هـذا النوع من الترجمة . ولأن نحو الجمل وبنيتها في لغة ما لا يتطابق دوماً مع ما هو قائم في لغة اخرى . أضف الى ذلك أن استخدام الاستعارة يؤدي في الغالب الى معان عكسية ، والاستعارات كثيرة في جميع اللغات .

المنهج الثاني : نحو العربية ، هو الذي طبقه حنين بن اسحق والجوهري وآخرون . إذ كانوا يقومون بقراءة الجملة وفهمها ، ثم يترجم المترجم بجملة مطابقـة سواء تطابقت الكلمات أم لم تتطابق . وهذا المنهج أفضل » .

يقابل الصفدي هنا بين ترجمة لغوية صرفة اي نقل وترجمة حقيقية يدرك المترجم من خلالها مضمون الخطاب أولاً أو جزءاً من الخطـاب أو وحدة المعنى ، قبل أن ينقلها الى نظام آخر هو نظام لغة الوصول ، الذي لا يتطابق بالضرورة كمياً أو حرفياً مع نظام الوصول .

ومن المفيد أن نشير الى أن الصفدي قـد اعتبر الترجمة الحرفية رديئة بسبب العوائق اللغوية مثل عدم التقابل في الكلمات والنحو .

* * *

القسم السادس

النصـوص المترجمـة

اذا نحن نظرنا الى مجموع حركة الترجمة الى العربية ، في العالم الوسيط ، أي من أولى الفتوحات العربية الى قمة التطور الفكري للقرنين التاسع والعاشر ، أو اذا نظرنا الى مدرسة حنين بن اسحق ، يمكننا أن نلحظ تتابعاً ما فيما يتعلق بطبيعة النصوص المختارة للترجمة . من المؤكد اننا ندرك تطوراً ملموساً بين الاهتمامات المباشرة للخلفاء الاوائل التي كانت تدفعهم الى تعريب السجلات الادارية والمالية ، واهتمامهم بالعلـوم الطبيعية ، ولدى راعي العلماء ، المأمون الذي ترجمت في عهده غالبية اعمال أرسطو .

ويبقى أن النصيب الاكبر من الاهمال ، في هذه الحركة الكبرى ، قد أصاب ، مبدئيا ، الادب اليوناني ، من حيث المعالجة بشكل منتظم على الاقل ـــ ذلك بالمقارنة مع المؤلفات الاخرى التي تعالج قضايا أخرى كتبت باللغة اليونانية .

تتوضع ترجمة النصوص الفلسفية والطبيـة ، مثلا ، في خـط الدراسات التي قامت في هذه المجالات : التقاليد التي كـانت قائمة في الاديرة السريانية ومدرسة الاسكندرية وكذلك مدرسة جنديسابور للطب ولم تكن الحاجة للوصول الى النصوص الادبية اليونيانية ، من جهة أخرى ، واضحة تماماً . فقد بقي الشعر العربي القديم مثلا أعلى مـع مفرداته الثقافية والحضارية الخاصة رغم أن التأثيرات الاجنبية،بخاصة

الفارسية ، قد أدت الى بعض التغييرات على مستوى الموضوعات المختارة مثل الشعر الخمري . أما فيما يتعلق بالنثر ، فقد هيمن التأثير الفارسي ، اذا استلهمت الثقافة الفارسية ، غير أن الشكل ظل عربياً ، فيما تغير المضمون . كما ترجمت المؤلفات الفارسية الى العربية . وفي الواقع ، إن الفرس قد نافسوا العرب مستخدمين أسلحة العرب أنفسهم ، أي اللغة العربية .

إلا أنه من غير المناسب أن نستبعد الادب اليوناني تماماً ، طالما أنه يظهر على شكل شذرات في الأمثال والحكم المنسوبة الى حكماء العصور القديمة التي جمعت في كتب الأدب العربي ، وكما يشير ديمتري غوتا في دراسته حول المأثورات العربية اليونانية : لقد ترجم الى العربية الأدب الذي يقع بين الفلكلور والحكمة الشعبية ، وكذلك النصوص الكلاسيكية وهذا ما نجده في الكتب العربية الأدبية المعاصرة لمدرسة حنين بن اسحق ولقد قدر هذا النوع من الادب كثيرا لانه كان ، في الوقت نفسه ، مسلياً وتربوياً ومألوفاً لدى العرب الذين استخدموا هذا الجنس حتى قبل الوحي القرآني .

ترك حنين مؤلفاً صغيراً بعنوان « اجتماع الفلاسفة في بيوت الحكمة » وهو عبارة عن كتاب حكم وأمثال أخلاقية للفلاسفة اليونانيين ترجمت الى العربية . ونجد معظم هذه الأمثال ، مثلاً في المؤلفات التالية :

ـ **الكلم الروحاني من الحكم اليونانية** : لابن هندو (المتوفى عام ١٠١٩ أو ١٠٢٩) . ترجمة لأمثال وشعر يونانيين .

ـ **صيوان الحكمة** : لابي سليمان السجستاني (المتوفى بعد عام ٩٨٧) .

ـ **الامتاع والمؤانسة** : للتوحيدي ، ينقل المؤلف (المتوفى عام ١٠٢٣) حوارات متخيلة حول تفوق ثقافة على أخرى .

ـ **الحكم الخالدة** : لابن مسكويه (المتوفى عام ١٠٣٠) .

ـ **مختار الحكم** : لمبشر بن فاتك ، وهو كتاب من نهاية القرن الحادي عشر ، يعالج الفلسفة والمصدر الثمين للأمثال المنسوبة لحكماء العصور القديمة مثل هوميروس . ويدعي المؤلف أنه قد استقى هذه الحكم عن الفلاسفة اليونانيين من خلال ترجمات مفقودة .

ـ **الملل والنحل** : للشهرستاني (١٠٧٦ ـ ١١٥٣) الذي يستوحي الكتاب السابق ويقدم الفلاسفة ونظرياتهم .

ونجد هذا النوع من الأمثال أيضاً في أعمال المؤلفين والمؤرخين المتأخرين ، كما نجدها ضمن مؤلفات الأدب لكتاب معاصرين لحنين بن اسحق ومدرسته مثل كتاب **الحيوان** وكتاب **البيان والتبيين** للجاحظ (٧٧٦ ـ ٨٦٩) **وعيون الأخبار لابن قتيبة** (٨٢٨ ـ ٨٨٩) .

لقد قام هؤلاء المؤلفون بعملية تركيب للثقافة العربية على حد قول جمال الدين بن شيخ في كتابه **« فن الشعر العربي »** .

ويقال إن جزءاً من الإلياذة قد ترجم من قبل تيوفيل بن توما الرهاوي (المتوفى عام ٧٨٥) والذي عمل منجماً في بلاط الخليفة المهدي ، الذي حل بعد المأمون وحكم بين عامي ٧٧٥ ـ ٧٨٥ . وينقل المؤرخون أن حنيناً كان يعرف (أدب) هوميروس ، وليس في الأمر مبالغة ذلك أن حنيناً قد زار اليونان والاسكندرية لتعلم اليونانية ، ويكتب ابن أبي أصيبعة أن حنيناً قد روى هوميروس في أحد الاجتماعات .

لقد ترجمت مدرسة حنين الكتب الفلسفية والطبية ، بخاصة . أما **فن الشعر** لأرسطو ، فقد ترجم في القرن العاشر من قبل متى بن يونس . كما احتل علم الفلك مكانة هامة أيضاً ، ونجد من المفيد أن نذكر ، بالتفصيل قدر الامكان ، الترجمات التي قامت بها هذه المدرسة ، رغم أن عدة عناوين منها قد ذكرت في الفصول السابقة . لقد اعتمدنا بشكل

رئيس **الفهرست** لابن النديم من أجل هذا التعداد ؛ أما فيما يتعلق بالمؤلفات الفلسفية ، فقد استخدمنا الأبحاث التي قام بها البدوي . أما بالنسبة لكتب الطب و **رسالة** حنين، فقد استخدمنا مؤلفات م. مايرهوف بشكل أساسي . وسوف لن نشير فيما إذا كانت ترجمات حنين السريانية تنقيحاً لترجمات سريانية سابقة أم لا ، وذلك لغاية تبسيطية .

آ ــ الكتابات الفلسفية :

من المفيد التأكيد ان مصطلح **فلسفة** يستخدم هنا بمعناه الأكثر اتساعاً والأقل دقة ، ذلك أننا نجمع تحت هذا العنوان مؤلفات في البلاغة وما وراء الطبيعة .

١ ــ أرسطو :

ترجمت مدرسة حنين ، عن اليونانية والسريانية المؤلفات التالية :

ــ **الاورغانون** (المنطق) الذي احتوى على : **المقولات** : الترجمة العربية لاسحق بن حنين . ويرى ابن النديم انه ربما كان حنين مترجم النسخة العربية للمقولات . غير أن النسخة العربية الموجودة في المخطوط رقم ٢٣٤٦ في القسم العربي للمكتبة الوطنية (بباريس) تنسب الى اسحق بن حنين . ويشير الناشر ابن سوار الى ترجمة سريانية لهذا الكتاب قام بها حنين . وينسجم هذا الأمر مع النظام المطبق في المدرسة والذي يكلف حنيناً بالترجمة الى السريانية فيما يقوم تلاميذه ومساعدوه بالنقل الى العربية . ولنذكر أن اسحاقاً كان يترجم مؤلفات فلسفية بخاصة :

ــ **الأماكن** : الترجمة العربية لأبي عثمان الدمشقي للكتب السبعة الاولى ، وابراهيم بن عبد الله الكاتب للكتاب الثامن ، انطلاقاً من الترجمة السريانية لاسحق بن حنين .

- **التحليلات الاولى** : ترجمة سريانية جزئية لحنين ، ترجمة عربية للتذاري (تيودور) .

- **التحليلات الثانية** : الترجمة السريانية لحنين بن اسحق (قدم النسخة العربية أبو بشر ، متى بن يونس ، لاحقاً) .

- **التأويل** : ترجمة سريانية لحنين ، وترجمة عربية لاسحق .

- **الفيزياء** : ترجمة عربية لاسحق .

- **في السماء** : ترجمة يحيى بن البطريق وتصحيح لحنين .

- **النشوء والفساد** : ترجمة من اليونانية الى السريانية لحنين ومن السريانية الى العربية لاسحق والدمشقي .

- **في الروح** : (مع شرح لتيميستيوس ترجمة عربية لاسحق .

- **ما وراء الطبيعة** : ترجمة لاسحق .

٢ ـ افلاطون :

- **الحوارات** .

- **القوانين** : ترجمة حنين ثم يحيى بن عادي .

- **السفسطائيون** : ترجمة اسحق .

- **فلسفة الطبيعة** : ترجمة حنين الذي صحح ترجمة ابن البطريق . ثم يحيى بن عادي الذي أعاد ترجمة حنين .

- **الجمهورية** : ترجمة حنين .

يرى البدوي انه لا يوجد اي مخطوط لهذه الترجمات .

٣ ــ بروكلوس :

ــ **في أبدية العالم** : الترجمة العربية لاسحق : البراهين التسعة الأولى .

ــ **كتاب العلل** : الترجمة العربية لحنين ، انظر الدراسة التي قام بها البدوي حول أصول هذه الترجمة .

٤ ــ بورفيل :

ــ **الايزاغور** (مدخل الى مقولات ارسطو) ترجمة أبي عثمان الدمشقي .

ب ــ النصوص العلمية :

ــ **عناصر اقليدس** : ترجمة حنين ، مراجعة ثابت بن قره .

ــ **المجسطي لبطليموس** : ترجمة حنين بن اسحق ، مراجعة ثابت ، وكذلك عدة كتب أخرى اقل اهمية .

جـ ــ الكتب الطبية : مؤلفات ابقراط وغاليان .

لا تشمل هذه الفقرة على مؤلفات غاليان فقط ، بل تحتوي أيضاً على شروحه لكتب ابقراط .

ــ **كتاب الطبقات في الطب** : الترجمة السريانية والعربية لحنين .

ــ **تقانة الشفاء** : ترجمة عربية وسريانية لحنين .

ــ **النبض** : ترجمة عربية وسريانية لحنين .

ـ **رسالة الى غلوكون** : ترجمة عربية وسريانية لحنين .

ـ **العظام** : ترجمة عربية وسريانية لحنين .

ـ **المقالات حول العضلات والأعصاب والأوعية** : الترجمة العربية لحبيش .

ـ **المقالة حول العناصر وفاقاً لابقراط** : ترجمة عربية وسريانية لحبيش .

ـ **المقالة حول الأمزجة** : ترجمة عربية وسريانية لحنين .

ـ **القوى الطبيعية** : ترجمة سريانية لحنين وكذلك العربية للنص الأول من المقالة .

ـ **العلل والظواهر** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش .

ـ **الأعضاء الداخلية** : الترجمة السريانية والعربية لحنين .

ـ **انواع الحمى** : الترجمة السريانية والعربية لحنين .

ـ **الهذيان** : مراجعة حنين للترجمة السريانية لسيرجيوس ، الترجمة العربية لحبيش .

ـ **طريقة الشفاء** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش . ثم عدة مقالات حول التشريح : الترجمة السريانية لايوب الرهاوي صححها حنين وترجمها الى العربية حبيش .

ـ **الرغامى والرئتان** : الترجمة العربية لاسطفان بن باسيل ، تصحيح حنين والترجمة السريانية لحبيش ، انطلاقاً من الترجمة العربية .

- **امراض التنفس** : الترجمة العربية لاسطفان وراجعها حنين .

- **الصوت** : ترجمة حنين .

- **الوظيفة العضلية** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لاسطفان، تصحيح الترجمة العربية لحنين ، انطلاقاً من الأصل اليوناني .

- **اهمية النبض** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش .

- **الوظيفة التنفسية** : الترجمة السريانية والعربية لحنين ، كما ترجم الى العربية من قبل اسطفان .

- **الدورة الدموية** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لعيسى بن يحيى .

- **قوة المسهلات** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لعيسى .

- **العادات** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش .

- **الآراء لابقراط وافلاطون** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش .

- **الحركات** : الترجمة السريانية والعربية لحنين .

- **الشم** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لاسحق .

- **استخدام اعضاء الجسم** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش .

- **التكوين الافضل للجسم** : الترجمة السريانية والعربية لحنين .

- **الحالة الجيدة للجسم** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش .

ـ **المزاج الشاذ** : الترجمة العربية لحنين .

ـ **الأدوية البسيطة** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش .

ـ **مراحل المرض** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لعيسى بن علي .

ـ **الأمزجة الخصبة** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لاسطفان بن باسيل .

ـ **الأورام** : الترجمات العربية لابراهيم بن الصلت وحبيش .

ـ **اسباب الأمراض** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش .

ـ **فروع الطب المختلفة** : الترجمة السريانية الجزئية لحنين ، الترجمة العربية لاسحق .

ـ **المني** : الترجمة السريانية والعربية لحنين .

ـ **الولادة في الشهر السابع** : الترجمة السريانية والعربية لحنين .

ـ **المزاج السوداوي** : الترجمة العربية لاسطفان .

ـ **الحميات** : الترجمة السريانية لحنين .

ـ **اختلال التنفس** : ترجمة حنين وتصحيح لترجمة سريانية سابقة.

ـ **نقاط خاصة من المدخل إلى المعرفة** : ترجمة سريانية لحنين وعربية لعيسى بن يحيى .

ـ **النزيف** : ترجمة سريانية لسير جيوس ، ثم ترجمة عربية جزئية لاسطفان وعيسى .

ـ **الضعف** : ترجمة عربية لاسطفان ، مراجعة لحنين ، ترجمة سريانية لحنين قدم عيسى من خلالها ترجمة عربية أخرى .

ـ **شاب مصاب بالصرع** : ترجمة سريانية وعربية لابراهيم بن الصلت .

ـ **فضائل الاغذية** : ترجمة سريانية لحنين وعربية لحبيش .

— **Le Kimos** : ترجمة سريانية لحنين وعربية لثابت بن قره وحبيش .

ـ **الأدوية سهلة المنال** : الترجمة السريانية لحنين .

ـ **معالجة الأمراض الحادة وفاقاً لابقراط** : ترجمة سريانية وعربية لحبيش

ـ **الأغذية المركبة** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحنين

ـ **العلاجات المناسبة للأمراض** : الترجمة السريانية ليوحنا بن بختيشوع (بمساعدة حنين) والترجمة العربية لعيسى بن يحيى .

ـ **العلاجات** : الترجمة العربية لعيسى .

ـ **فن المحافظة على الصحة** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لاسحق وحبيش .

ـ **مقالة Thrasybulos** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش وتصحيح النسخة الثانية لاسحق .

شروح غاليان على المقالات الابقراطية التالية :

ـ **القسم** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لاسحق وحبيش .

ـ **جوامع الكلم** : الترجمة السريانية والعربية لحنين .

ــ**الكسور** : الترجمة السريانية لحنين الذي ترجم أيضاً أهم اقوال ابقراط ، الترجمة العربية الحنين .

ـ **التوقعات (المدخل الى المعرفة)** : الترجمة السريانية لحنين والترجمة العربية ، لأهمها لحنين،أما شرح غاليان فقد ترجمه حبيش.

ـ **الأمراض الحادة** : الترجمة السريانية للنص نفسه والشرح لحنين الترجمة العربية لعيسى بن يحيى .

ـ **الأوبئة** : (ربما كان الجزءان الأول والثالث أصليين) ، الترجمة السريانية لحنين والعربية لعيسى .

ـ **الطباع** : ترجمة حنين (الشرح والنص الأصلي) ، الترجمة العربية العيسى بن يحيى .

ـ **عيادة الطبيب** : الترجمة السريانية والملخص لحنين الترجمة العربية لحبيش .

ـ **الهواء والماء والمكان** : الترجمة السريانية لحنين والترجمةالعربية لاقوال ابقراط لحنين وشرح غاليان لحبيش .

ـ **طبيعة الجنين** : الترجمة العربية لأهم ما فيه لحنين .

ـ **الطبيعة البشرية** : الترجمة السريانية لحنين ، الترجمة العربية لاهم مافيه لحنين ، أما الشرح فترجمة حبيش .

ـ **الطبيب الجيد يجب ان يكون فيلسوفاً** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحنين وعيسى بن يحيى .

ـ **كتب ابقراط الأصلية والكتب المزيفة :** الترجمة السريانية لحنين والعربية لاسحق .

ـ **حول التشجيع على دراسة الطب :** الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبش .

الكتب التي يقول حنين إنها لم تكن مذكورة في قائمة غاليان :

ـ **فحص افضل الأطباء :** الترجمة السريانية والعربية لحنين .

ـ **المعتقدات وفاقاً للنظر :** الترجمة السريانية لاسحق والعربية لثابت بن قره وعيسى بن يحيى مع مراجعة الحنين .

ـ **المصطلحات الطبية :** الترجمة السريانية لحنين و (الخطاب الأول) العربية لحبيش

ـ **البرهنة :** الترجمة السريانية الجزئية لحنين والترجمة العربية الجزئية لاسحق وعيسى .

ـ **كيف يعرف المرء عيوبه الخاصة :** الترجمة السريانية لحنين وتوما .

ولقد راجع حنين الجزء الذي ترجمه توما وصححه

ـ **الأخلاق :** الترجمة العربية لحنين والسريانية لحبيش .

ـ **المنخوليا :** الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش .

ـ **الطريقة التي يستطيع افضلنا ان ينال بواسطتها من عدوه :** الترجمة السريانية لحنين والعربية لحنين وحبيش .

ـ **المقالة حول ما كتبه افلاطون حــول الطب في Le Timée** :
الترجمة السريانية لحنين والعربية لحنين وحبيش .

ـ **علاقة قوة الأخلاق بالمزاج** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش ، ثم مراجعة لاسطفان بالعودة الى النص اليوناني الاصلي .

ـ **ثبات المحرك الأول** : الترجمة العربية لحنين واسحق وعيسى.

ـ **المدخل الى المنطق** : الترجمة السريانية لحنين والعربية لحبيش مع تصحيح لحنين .

تشير هذه القائمة ، الناقصة قطعاً ، الى ان مدرسة حنين قــد قامت بترجمات طبية كثيرة ، ومن المناسب ان نشير الى التفاعل الذي ظهر بين فرعين مثل الطب والفلسفة . وكما قال غاليان : « إن الطبيب الجيــد يجب ان يكون فيلسوفاً » ، فإن بيثاغور (٥٣٠ ق.م) قال : « الفلسفة طب الأرواح » .

ويسمح حجم الترجمات التقنية ، في إنتاج مدرسة حنين ، بالمقارنة مع العلاقة التي تقوم الآن بين الترجمة التقنية والترجمة الأدبية الصرفة . واذا كانت الترجمات الأدبية تتمتع عموماً بانتشار يفوق انتشار النصوص التقنية لأنها تتوجه ، بسبب طبيعتها ، الى شريحة أكثر اتساعاً مــن القراء ، فان الترجمات التقنية تظل متفوقة من وجهة النظر الكمية ؛ رغم أن انتشارها وذيوعها أقل بكثير ، إذ يقتصر مجالها على المختصين .

لقد رأينا أن اختيار النصوص المترجمة قد تم بناء على طلب الخلفاء وحاشيتهم من العلماء والموسوعيين ، ولأسباب متباينة أحياناً . ولنذكر أن نشاط المترجمين كان يشكل جزءا متكاملا مع الحركة الثقافية للعصر ، وأن العديد من الكتب المترجمة الى العربية كانت قد ترجمت سابقاً الى السريانية ، ودُرست في اطار مدرسة الاسكندرية أو في الأديرة المسيحية في الشرق .

وهكذا فقد عرّف ارسطو وشارحوه (تقول الدمشقي : القرن الأول قبل الميلاد ، اسكندر أفروديز : ٢٠٠ سنة ق.م تيميستيوس : القرن الرابع ، حنافيليبون وسنبليسيوس القرن السادس) من العرب عبر الترجمات السريانية لأعمالهم ، بخاصة كتب منطق ارسطو .ولم تعرف الأعمال الكاملة لأرسطو من قبل العرب بل نقلت اليهم بالتدريج .

اما اعمال غاليان ، فقد درست في إطار مدرسة الاسكندرية كما ان جزءاً هاماً من مؤلفات ابقراط وغاليان قد ترجمت الى السريانية من قبل مترجم هوسيرجيوس ريشينا في القرن الخامس ، وقد راجع حنين ترجماته . يمكن أن توضع الترجمة الى العربية في اطار استمرارية تتمثل في تفعيل الإرث الثقافي اليوناني ، ليس بطريقة جامدة بل من خلال إخضاع الترجمات للتحليل والدراسات . وكما يكتب ر. ارنالديز : **« [...] لم تتبع الفلسفة اعمال الترجمة والشروح ، بل ولدت من خلال هذه الأعمال وتابعتها »** .

د ــ اختيار النصوص :

لقد كان موقف الخلفاء اساسياً في هذا الشأن ؛ فلولا مساندتهم الحماسية ، غالباً ، وكذلك الحماية الرسمية التي قدمت للبحث العلمي، لما عرفت حركة الترجمة مثل هذا النشاط ، رغم أن الكثير من الأعمال التي ترجمها حنين وفريقه لم تترجم بناء على الطلب الصريح لهذا الخليفة أو ذاك ، بل من اجل علماء آخرين أو شخصيات كبيرة من البلاط ، سواء كان النقل الى السريانية او العربية .

ولقد ظهر دور الخلفاء على مستويين هما على التوالي ، الرغبة في تعريب الأمبرطورية الجديدة ، والاهتمامات والمصالح الشخصية للخلفاء .

١ ـ الرغبـة في التعريب :

لقد تمثل العمل الذي شرع فيه الخلفاء الأوائل من اجل تعريب إدارة البلدان المفتوحة ، مع المحافظة على البنى القائمة ، في ترجمـة الوثائق الادارية الى العربية . وهكذا تمت المحافظة على بنى الأمبراطورية البيزنطية القديمة وتم تحويلها ، بالتدريج ، الى النظام الجديد .

ومع ذلك ، فإن إرادة التعريب هذه لم تقتصر على فرض العربيـة لغة رسمية ، بل ظهرت في جعل العربية لغة العلوم ، ولم تقتصر لغـة الوحي القرآني على المجال الديني ، بل ترجم اليها مجموع الكتب العلمية والفلسفية اليونانية المعروفة . وهكذا اصبحت العربية ، بعد اغتنائها بهذه المساهمات الأجنبية ، اللغـة التي تحلل فيها النصوص اليونانية وتشرح ، بعد ان تترجم مباشرة عن الأصل او عن الترجمات السريانية .

٢ ـ الأسباب الشخصية :

من المفيد ان نشير الى أن اهتمام الخلفاء بهذا العلم او ذاك قد دفع الى ترجمة كتب علمية مختلفة . وهكذا ، فقد اهتم الخليفة المنصور كثيراً بعلم الفلك ، واخذ بالاعتبار حركات الكواكب ، في أثناء اتخاذه للقرارات السياسية . ينقل القفطي :

> **« قدم الى الخليفة المنصور ، يوماً من عام ١٥٦ هـ (٧٧٢ م) ، رجل من الهند يعرف الحساب الفلكي ، ومعه كتاب « حركة النجوم » وحسابات تتم على أطر مرقمة ... امر المنصور بترجمة الكتاب الى العربيـة وأن ينسخ منـه نسخة يعتمدها العرب في دراسة حركة النجوم . وقد كلف محمد بن ابراهيم الفزاري بهذه الترجمة وحولت الى كتاب أسماه الفلكيون السندهند الكبير ... » .**

وكان القفطي قد قدم المنصور على النحو التالي :

« ممتاز في علم الفلك ، متنبىء بالاحــداث ، عارف بحركات النجوم وكان من أول من اهتم بهــذا المجــال من المسلمين في العصر العباسي » .

كتب المنصور لامبرطور بيزنطة طالبا اليه أن يرسل مؤلفات تعالج علم الفلك هذا ، كما شجع هذا الخليفة الأبحاث الطبية واستدعي الى بغداد أطباء جنديسابور منهم ابن بختيسوع وسماه طبيب البلاط .

كما عرف الخليفة المـأمون بحبـه للعلم ، وتقول الأسطورة إن ارسطو قد ظهر لــه في الحلم ، مما دفعــه الى طلب ترجمــة أعمال الأقدمين ، ويقدم ابن النديم هذا الحلم على انه أحد أسباب وجود هذا العدد من الكتب الفلسفية في محيطه ، ويعيد القفطي كلمات ابن النديم . على أن ابن ابي اصيبعة قد قدم رأياً آخر في هذا الحلم . وينقل أن المأمون قال إنه رأى في حلمه شيخاً جالساً على كرسي ، وهو يتحدث ، وانه قدم نفسه على انــه أرسطو ، وسأل المأمون عنــد استيقاظه عن ارسطو ، فقيل له إنه حكيم يوناني .

شجع المأمون حركة الاعتزال ، تلك الحركة الفلسفية الشرعيــة التي ولدت في البصرة في العراق ، وقامت بدور حاسم في تكوين النظام الفلسفي الاسلامي . وعملت هذه الحركة على ادخال العقل في الاعتقاد الديني ، ومجابهة اعــداء الاسلام مستخدمة الأسلحــة نفسها لهؤلاء الخصوم . فقد قالت إن على الايمان أن يقوم على العقل الذي يجب ان يخدم الدين . كمــا سمت الى التوفيق بين الحكمة اليونانيــة والوحي القرآني ، وشجعت ترجمة النصوص الفلسفية اليونانية واخذت عنها .

يتحدث المؤرخ المسعودي في « **مروج الذهب** » عن اجتماع الأطباء لدى الخليفة الواثق (٨٤١ ــ ٨٤٥) . يصور هذا النص بشكل جيد ، جو رعاية العلماء الذي كان مسيطراً :

« بقدر ما كان الواثق يحب البحث الحر ويكرّم من يقوم به ، كان يكره الرتابة وأنصارها . وكان يتابع بعين الفضول تطور علوم ومذاهب الفلاسفة والحكماء والفقهاء بين الأقدمين والمحدثين . اجتمع ، في أحد الأيام ، عدد من الفلاسفة والأطباء في بلاطه ، وناقشوا في حضوره قضايا مادية وميتافيزيكية مختلفة ، فقال لهم الخليفة : أريد أن أعرف كيف نكتسب معرفة الطب والمبادىء التي ينبثق عنها هذا العلم ؟ هل نعتمد مشاهدة الحواس أم القياس أم العادة ؟ هل تدرك مسبقاً بالذكاء أم ، على العكس ، يقوم هذا العلم ومنهجه على النقل الشفهي كما يزعم عدد من الحكماء التقليديين . وقد حضر الاجتماع ابن بختيشوع وابن ماسويه ، كما يذكر من بين الحضور حنين بن اسحق وسلمويه . » .

ومع ذلك ، ما أن جاء الخليفة المتوكل عام ٨٤٥ حتى استعادت النزعة التقليدية حقوقها وأوقفت حركة ترجمة هذه النصوص . غير أن دراسة الترجمات القائمة والتنقيحات المطلوبة لم تتوقف في بغداد . ويمثل نشر كتاب « أورغانون » لأرسطو في القرن العاشر مثالاً على هذه الدراسات . يقول المسعودي :

« ما أن تسلم المتوكل السلطة حتى الغى التفكير الحر والمناقشات الفلسفية وكل ما كان يثير العقول إبان حكم المعتصم والواثق والمأمون وأعاد السلطة الى المذهب التقليدي والخضوع للتقاليد الدينية وطلب من رؤساء مدرسة الحديث تعليم الحديث وكذلك العقيدة والعبادات التي اعتمدتها السنة ... » .

ومع ذلك ، يبدو أن المتوكل قد شجع البحث الطبي ، إذ كان يدور في فلكه عدة اطباء كبار مثل حنين ، ولقد ترجم في عهده جزء كبير من اهم مؤلفات ابقراط وغاليان الى العربية .

وعلينا أن نذكر الدور الحاسم لبعض العلماء والأعيان في حركة الترجمة ، ذلك الدور الذي اشرنا إليه في القسم الثالث . لقد اهتم الأخوة شاكير بترجمة النصوص العلمية بخاصة ، ويتحدث المؤرخون عن التشجيع الذي كانوا يغدقونه على المترجمين .

ويرد ذكر الأخوة شاكير مرات عدة عبر رسالة حنين حول النسخ السريانية العربية لمؤلفات غاليان ،، ونلاحظ ، في الواقع ، أن معظم الترجمات العربية قد خصصت للأخوة شاكير أو لكبار الأعيان المسلمين مثل علي بن يحيى ، امين سر الخليفة المتوكل ، واسحق بن إبراهيم الطاهري ، حاكم خراسان في عصر المأمون ، بينما النسخ السريانية السابقة للنسخ العربية ، عموماً ، قد نفذت من قبل أطباء سريانيين مثل جبريل بن بختيشوع ، وبختيشوع بن جبريل ويوحنا بن ماسويه وسلمويه .

ولقد دخل الكندي الى بلاط الخلفاء العباسيين فيلسوفاً وفلكياً وساهم في حركة الترجمة . ويشكك البدوي بقيامه بترجمة المؤلفات اليونانية والسريانية ، إذ يرى أن المصادر لا تشير بشكل حاسم الى أن الكندي قد عرف اليونانية أو السريانية . ويؤكد البدوي أن المعلومات التي يوردها المؤرخ ابن جلجل بهذا الصدد خاطئة وان كلاً من القفطي وابن ابي أصيبعة قد ردداها ، وأن الخلط إنما نتج عن أن الكندي قد شرح مؤلفات ارسطو ونقح الترجمة العربية لـ « **شريعة** » ارسطو المنتحلة ، وكذلك « **إنيادة** » افلوطين التي قام بترجمتها عبد المسيح بن عبد الله بن نعيمة الحمصي الذي لم يكن يعرف العربية جيداً .

لقد رأينا أن تنقيح النص العربي النهائي يمثل مرحلة هامة من عملية الترجمة ، وانها كانت المرحلة التي يتدخل أثناءها المصححون والمراجعون .

ويبدو ، على أية حال، أن الكندي قد قام بدور هام ، سواء بشكل مباشر ، من خلال قيامه ، هو نفسه ، بترجمة الكتب اليونانية ، أو غير مباشر بطلب ترجمة هذه الكتب . ويمكن أن يذكر ، إذن ، مثلاً عن الذين ترجمت من اجلهم كتب الأقدمين .

* * *

القسم السابع

مساهمة الترجمة

تلح كتب تاريخ الترجمة ـ التي تسعى الى رسم لوحة عامة لعصور الترجمة ، من خلال قيام البعض منها بالعودة الى نقوش العصور القديمة أو من خلال انطلاق البعض منها من اعمال القديس جيروم ـ على وظيفة النقل في الترجمات المدروسة، مما يؤدي الى تحويل حركات الترجمة الى محاولات بسيطة للنقل والى وسيلة نقل رسالة ما من لغة مصدر الى لغة هدف ، وبالتالي من نظام ثقافي الى آخر ، تلك الظاهرة التي يغيب فيها المترجم إذا قام بمهمته بشكل صحيح . وإذا نحن رأينا في عمل مترجمي بغداد ـ الغائبين في مثل هذه الكتب ـ عملية نقل بسيطة فإننا نقترف ظلماً ونتجاهل جهد التحليل العميق والتفكير الذي يرافق أعمال المترجمين .

يمكن ان تدرس مساهمة هذه الترجمات على مستويات ثلاثة : على المستوى اللغوي أولاً ، من خلال إبداع مفردات تقنية عربية ، ومن خلال التفكير حول اللغة ، ثم على مستوى الحضارة العربية الإسلامية ، من خلال الدور الذي تقوم به هذه الترجمات في بناء النظام الفلسفي ، وأخيراً بالنسبة للحضارة الغربية التي ستكتشف ، فيما بعد ، الإرث الكلاسيكي من خلال الترجمات العربية .

آ ـ على مستوى اللغة العربيــة :

١ ـ إبداع مفردات تقنية :

اثارت ترجمة النصوص الفلسفية والعلميــة الى العربيــة المسألة التاليــة : كيف سنعبر بالعربية عــن مفاهيم مجردة ادخلتها الفلســفة اليونانية ولا يوجد مقابل لها في اللغة العربية في تلك الفترة ؟ او مشكلة المصطلحات التقنية ، اسماء النباتات او الأمراض التي تشير في البدايــة مشكلة التحديد والبحث ؟ ولقد رأينــا أن المترجمين قــد وجدوا حلين لهذه المشكلة : إما ان نستدين الالفاظ اليونانية المتوفرة بشكل مباشــر ونستخدمها كما هي في نص الوصول منقولة حرفياً إلى العربية ، وإما ان نبدع الفاظاً جديدة مستندين الى الاشتقاق في اللغة العربية .

يمكننا القول إن حنين بن اسحق ومدرسته قد ابتدعوا مفردات تقنية من خلال اشتقاق الفاظ جديدة أو من خلال إعطاء مضمون خاص لألفاظ قائمة وغير مستخدمة في إطار المفردات العلمية . ويحتوي مؤلف حنين حــول « الوقايــة من الأمراض ومعالجة الأسنان » على مجموعة كاملة من المفردات العلمية . وكذلك هو الحال مع مؤلفه حول أدويــة العين حيث قسّم الأدوية وفاقاً لأصلها المعدني او النباتي .

ولقد استمرت هذه الجهود في الوقت الحاضر عبر عمل التعريب الذي تقوم به الجامعة العربية ومعهد الدراسات والأبحاث حول التعريب في المغرب الذي يسعى الى تكوين مفردات تقنية تستطيع تلبية حاجات التقدم التقني ، وذلك انطلاقــاً من اصل الكلمات العربيــة ــ ولقــد استخدمت الطريقة نفسها من قبل مترجم مثل حنين . وتمثل المصطلحات الشغل الشاغل الأكبر في الأقطار العربية جميعاً ، فهل ستستطيع هذه الجهود أن توقف طغيان المصطلحات التقنية الأجنبية في اللغة العربية . يقدم البدوي في كتابه « **دور العرب في تكوين الفكري الأوربي** » مثالاً عن التراخي في اعتماد المصطلحات التي يمكن ان تنحت انطلاقاً من جذور

عربية . يدرس المؤلف مصطلح Algorithmes المشتق من اسم مؤلف الجداول : الخوارزمي ، والمستخدم في اللغة العربية الحديثة بشكله الأوربي المعرّب : « لوغاريتمات » ، بدل استنباطه مباشرة من الأصل العربي .

لا يمكننا أن نتجاهل حركة الترجمة التي تمت في القرن التاسع عشر في عصر النهضة العربية ، حيث ترجم الى العربية العديد من المؤلفات الأوربية في مجالات مثل التاريخ والجغرافية والعلوم العسكرية والسياسية . الخ . وساهمت مدرسة الترجمة ـ التي تأسست عام ١٨٣٦ م وتحولت الى مدرسة لغات ثم مكتب ترجمة عام (١٨٤١ ـ ١٨٤٢) ـ بهذه الحركة بشكل أوسع تحت إدارة رفعت رافع الطهطاوي .

ولقد تمت دراسة للترجمات العربية للنصوص الطبية مع نسخ المخطوطات العربية المختلفة المتوفرة ومن أجل الترجمة نفسها ، كما درس قاموس يوناني عربي وترجمة انكليزية له قام بها السيد ليون في سلسلة نشرها مركز كمبردج للشرق الأوسط .

٢ ـ الدراسات النحوية :

لقد ولدت الدراسات النحوية من خلال القضايا التي اثارها علماء القرآن وارتبطت بقوة بالعلوم الدينيةو تأثرت بالمجال القانوني ، من وجهة النظر المنهجية (أحكام إخلاقية وبمصطلحات قانونية) . لقد سعى النحويون الى تحديد اللغة الدقيقة للنص المقدس ، وتوجهت أولى اهتماماتهم الى الدفاع عن اللغة العربية ضد كل تخريب خارجي سواء من خلال إدخال الكلمات الأجنبية أو البنى النحوية التي تؤثر على اللغة العربية أو من خلال لحن الأعاجم ، بخاصة وأنه كان على العربية أن تكون اللغة المسيطرة لامبرطورية تغطي مناطق لغوية وثقافية مختلفة جداً .

ومن اجل تلبية حاجات غير العرب من المسلمين وغيرهم في تعـلم العربية كان من الضروري وضع قواعد للغة العربية .

ورغم ان النحو وفقه العربية قد ظلا ، من بين العلوم العربية ، اقل تأثراً بالحضارات الخارجية ، إلا ان منطق ارسطو قد اثر في مجال الدراسات هذه .

لقد سبقت الدراسات النحوية بزمن حركة الترجمة التي قام بها حنين ومدرسته . ويمكن ان نذكر من بين النحويين : الدؤلي (توفي عام ٦٦٨) وابو عمر بن العلاء (توفي عام ٧٧١) والخليل (توفي عام ٧٩١) الذي تلقى عليه حنين العربية ، وفاقاً لبعض المؤرخين ــ يبدو هذا الأمر غير منطقي من وجهة النظر الزمنية ــ وتلميذه سيبويه (توفي عام ٧٩٣) . لقد قام ، في القرن الثاني الهجري خلاف بين مدرستي الكوفة والبصرة (يقال إن حنيناً تعلم العربية فيها)، وفيما سعت البصرة الى إثبات المنطق المطلق للغة العربية وكانت منحازة بقوة للحركة المعتزلية ، التي سعت الى التوفيق بين الايمان والعقل في مجال الشريعة فإن مدرسة الكوفة قد قامت على منهجية تجريبية . ولقد دُرست فيها المادة اللغوية كما هي دون سعي الى استخلاص نظـام بالمعنى الواضح للكلمـة . لقـد كان الفراء (توفي عام ٨٨٢) أحد ممثلي مدرسة الكوفة التي ستندمج مع مدرســة البصرة في القرن الثـالث الهجري كي تستأنف نشاطها في بغداد ، دون أن تتم عملية دمج حقيقية مع هيمنة للتيار البصري (المبرد المتوفى عام ٨٩٧ وكتابه الكامل) .

لقد أثرت الترجمات ، بكل تأكيد ، في مجال الدراسات المنوه عنه من خلال المفاهيم الجديدة التي وضعت بتصرف العلماء العرب . غير أن ش. فيرستيغ تلفت في كتابها **« العناصر اليونانية في الفكر العربي »** الى أن هناك علاقة مباشرة مـع النحو اليوناني سابقة للعلاقـة التي أقامتهـا الترجمات ، خـلال الفترة الهلنستية التي مرت بها البلاد التي فتحها العرب ، وأن اللغة اليونانية كانت فيها اللغة الرسمية الى حين بـدء

الجهود من أجل التعريب التي قام بها الخليفة الأموي عبد الملك الذي حكم بين عامي (٦٨٥ — ٧٠٥) .

ولم تكن الممارسة الحية للنحو المجال الوحيد الذي تأثر من خلاله النحويون في الشرق الأوسط بمنطق ارسطو .

يقترح المؤلف بعد ذلك تمييزاً بين ما يسميه الطريق الغامض للنقل ، أي الاتصالات الأولى ، والطريق الموسوعي من خلال الترجمات وإدخال المفاهيم الأرسطيه .

يبدو أن هذا التقسيم بين الاتصال العفوي والترجمات الأكثر رسمية بالمعنى الواسع للكلمة كان ذا أهمية . وتعتبر الطريق الثانية مثالاً على المساهمة غير المباشرة للترجمة والتي ستدخل المفاهيم الأرسطية في المنطق وتقسيم الزمن ، وتطلق الدراسات حول أصل الكلمات مع الحاجة لمفردات جديدة . ولقد أسهم النحوي ابن جني (٩١٢ — ١٠٠٢) بشكل هام في علم أصل الكلمات في كتابه « **الخصائص** »

> **« توصل النحويون العرب ، من خلال التفكير حول أصل الكلمات واشتقاقها ، الى إدراك العلاقات بين الكلمة والفكرة ، بين القول والمراد واخيراً بين الشيء المسمى والذات التي تسمي ، بين الفكر المعبّر عنه والذات المفكرة التي تعبّر عنه » .**

٢ — النقاش حول اللغة :

إن مسألة أصل اللغة التي أثارها الفلاسفة اليونانيون ، منذ القدم ، وتحدث عنها المؤرخون العرب — لقد ذكر « الفهرست » Cratyle أفلاطون — ستعالج بطريقتين مختلفتين من قبل النحويين والمفكرين العرب الذين اعتمدوا فرضية الأصل الإلهي للغة ، أو فرضية أصل ناتج عن

الاتفاق البشري ، او المواقف الوسطية التي ترى أن وحياً جزئياً اتبع بمجموعة من الاتفاقات البشرية .

تعتمد الفرضية الأولى التي اخذ بها رجال الدين التقليديون على براهين قرآنية : لقد توجه الله الى البشر بلغة لا يمكن أن تكون نتيجة وفاق بشري بل وحي إلهي .

اما الفرضية التي ترى ان اللغة إنما تنتج عن وفاق بشري فهي تلك التي اعتمدها المعتزلة الذين رفضوا أن تقوم علاقة بين الله والبشر يتم من خلالها الوحي باللغة ، وذلك عبر تركيزهم على مبدأ « التنزه الآلهي » والمسافة القائمة بين الله والبشر . ويقترب موقف المعتزلة هذا من موقف اليونانيين حول اللغة ، اي **الحل الوسط** بين النظرية الطبيعية والنظرية الاتفاقية ، وندرك هنا إسهام الترجمة عن اليونانية في إدخال مفاهيم مثل ثنائية اللغة التي قال بها الافلاطونيون الجدد والعلاقة بين اللغة والفكر (مدرسة البصرة) .

إن النقاش حول اللغة ، الذي لم يعد مثاراً في ايامنا هذه ، قد حرك تفكير النحويين العرب وتجاوز الاطار اللغوي المحض ، فأدخل اعتبارات شريعة ممزوجة بالاعتبارات اللغوية لدى غالبية النحويين العرب . ونذكر ، بخاصة ، السيوطي ، في القرن الخامس عشر ، وكتابه « المزهر » الذي يتحدث عن هذا النقاش لدى النحويين العرب . ولا نرغب أن نطور ، هنا ، قضية هي ، في الواقع ، مجال بحث يمس اللسانيات والشريعة في الوقت نفسه . ونعتقد ان الترجمة ــ التي يمكن ان تغذي أفكاراً تتعلق باللغة ــ يجب أن تعالج باعتبارها علما هامشياً .

ب ــ على مستوى الحضارة العربية الاسلامية :

لقد رأينا أن الترجمات لم تكن تهدف الى تكوين تراث أو تزيين رفوف مكتبات الخلفاء او رعاة العلماء ، بل كانت موضع شروح وتحليل

تجعلها تتكامل مع حركة فكرية شاملة مغذية للفكر ، ومساهمة بشكل فعّال في بناء نظام فكري .

لقد وضع حنين من خلال نشاطه الترجمي وإبداعاته ـ أليس الترجمة إبداعاً أو إعادة خلق طالما ان نص البداية كان يخضع للتحليل قبل أن يصاغ مضمونه في نص الوصول ـ أو بالأحرى من خلال كتاباته الشخصية ، مثل « المسائل الطبية » و « المسائل حول العين » و « المقالة حول الأسنان » ، إذا لم نذكر غيرها ، وضع أسس الطب العربي (بخاصة في مجال طب العيون الذي تطور فيما بعد مع علماء مثل الرازي (المتوفى عام ٩٣٢) وابن سينا (المتوفى عام ١٠٣٧) ، تلك الأسماء التي نجدها بلفظها اللاتيني في الأدبيات العلمية الغربية في القرن الثالث عشر .

ساهمت الترجمات عن اليونانية أيضاً في الأبحاث في الرياضيات مع « عناصر اقليدس » وكذلك في الفلك ، الفرع الهام من العلم العربي ، وأصبح كتاب بطليموس « المجسطي » أساسياً ، وقد شرح وعدل في مراصد بغداد .

واستخدم بعض كبار مفكري الإسلام المعاصرين لمدرسة حنين ، أو الذين جاؤوا بعدهم ، الترجمات التي قامت بها هذه المدرسة .

لقد مررنا على ذكر الكندي ، فيلسوف العرب وأول الفلاسفة العرب الذين اطلعوا على الأعمال الفلسفية اليونانية التي ترجمها حنين وسابقوه . وقد كتب مقالة حول « الإدراك » نجد فيها تأثير اسكندر افروديز ، شارح أرسطو ، الذي ينسب إليه بحث بعنوان « في الإدراك » وفاقاً لأرسطو الذي ترجمه اسحق بن حنين إلى العربية .

شرح الكندي أيضاً كتاب بروميز **L'Isagoge** ، الذي ترجم إلى العربية من قبل أحد أول المترجمين ، ابن المقفع ، الذي توفي عام ٧٦٢ م ، ثم من قبل أبي عثمان الدمشقي الذي عمل إلى جانب حنين .

استخدم يحيى بن عادي فيلسوف بغداد (المتوفى عام ٩٧٤ م) ترجمات حنين ومساعديه الى السريانية والعربية . ونجد التنقيحات التي قام بها يحيى لهذه الترجمات في هامش نسخة « أرغانون أرسطو »، التي حققها ابن سوار تلميذ يحيى .

واستخدم الفارابي ، الفيلسوف والصوفي (المتوفى عام ٩٥٠ م)، واستاذ يحيى بن عادي مفاهيم أرسطو المنطقية على مستوى ميتافيزيكي ، ونجد لدى هذا الفيلسوف فكراً أرسطياً مشبعاً بالأفلاطونية الجديدة ، وكان هذا هو الشكل الذي وصل فيه الفكر الأرسطي إلى العرب ، عبر الترجمات السريانية وشارحي ارسطو .

كما استخدم ابن سينا ، الذي وردنا على ذكره ، الكثير من شروح تيميستيوس وشرح كتاب ارسطو « الروح » الذي ترجم جزءاً منـه اسحق بن حنين . شرح ابن سينا ، تلميذ الفارابي ، أعمال ارسطو ، على ضوء شعوره الديني وأثر تأثيراً كبيراً في رجال الدين المسيحي في القرن الثالث عشر . يقول « بدوي » إن ابن سينا قد تأثر في الميتافيزيك ، بكتاب بروكاوس « العلل » الذي نقله حنين وابنه اسحق إلى العربية .

ونجد لدى ابن رشد ــ شارح أرسطو الذي أراد أن يجـد فكراً ارسطياً نقياً من كل تفسير افلاطوني جديد ــ مقاطع من شرح اسكندر افروديز الذي يقال إن مدرسة حنين قد ترجمته إلى العربية . كمـا شرح ابن رشد « جمهورية » افلاطون استناداً إلى ترجمة عربية قام بهـا حنـين .

لا تشكل الامثلة التي أوردناها سوى جزء بسيط من الاستخدام الذي قام بها مفكرو العصر الوسيط العربي ، للأعمال الموضوعة تحت تصرفهم من قبل أجيال المترجمين ، ونحن لا نسعى إلى تقديم لوحة كاملة عن تأثير الفلسفة اليونانية كما نقلت إلى العالم العربي الإسلامي عبـر مدرسة الاسكندرية والشروح التي قدمها الشارحون والمترجمون السريان

عنها ، بل نسعى فقط إلى متابعة مصير بعض للترجمات والدور الـذي كان لها في إنضاج نظام فلسفي متكامل . ونعيدكم الى المؤلفات الواردة في مراجعها من اجل الدراسات التي تمت حول استخدام هذه النصوص من قبل المفكرين العرب .

ج ـ النقل إلى الغرب :

كما فعلنا في الفقرة السابقة ، سنقدم امثلة النسخ العربية للمؤلفات الفلسفية والعلمية اليونانية التي ترجمت إلى اللاتينية ، وأسـهمت بذلك في خلق تيار فلسفي في الغرب المسيحي في العصر الوسيط . سنقتصر بالطبع على الترجمات المنسوبة لحنين ومدرسته . ونصر على التأكيد ان هدفنا ليس فقط دراسة تأثير العالم العربي الاسلامي في العالم المسيحي في تلك الفترة او العلاقات بين العالمين من خلال الحروب الصليبية ، بل كذلك دراسة القطب الثقافي الوسيط الذي مثلته اسبانيا العربية . ونود ان نشير الى اهمية هذه الترجمات التي نقلت الى الغرب جزءاً اساسياً من العلم اليوناني الذي اغتنى بالتحليلات التي قام بهـا المترجمون . لقـد كان لهـذا الانتاج ، نظراً لأهمية مضمونه ، الفضل في إعادة كشف العلوم اليونانية القديمة للغرب ـ تلك العلوم التي لـم يكن يعرف منها سوى اجزاء ـ وفي إطلاق الأبحاث العلمية والتفكير الفلسفي الجديد الذي هيأ لعصر النهضة .

عرفت اسبانيا التي فتحها العرب عام ٧١١ م تطوراً ثقافياً ، منذ بداية القرن العاشر ، واصبحت في الواقع ، المركز الحضاري والفكري للعالم الإسلامي في القرن الحادي عشر ، مساهمة بشكل اصيل ، من خلال عناصرها الثقافية المورية الاسلامية ، في الحضارة العربية الاسلامية سواء من خلال الفلسفة ، مع مفكرين مثل ابن رشد شارح ارسطو « الذي عرف في اللاتينيـة اكثر مما عرف في لغتـه » ، وابن طفيل (المتوفى عام ١١٨٦) الطبيب والفيلسوف الأندلسي .

عندما استعاد الأسبان طليطلة عام ١٠٨٥ ، أصبحت هـذه المدينة حلقة وصل بين العالمين الاسلامي والمسيحي ، بفضل مدرسة الترجمـة الشهيرة التي قامت فيها . وقبل الحديث بالتفصيل عن هذه المدرسة ، يبدو لنا مفيداً أن نذكر أن العلم العربي قد وصل الى الغرب أيضاً عن طريق صقلية وايطاليا الجنوبية . لقد أصبحت صقلية (التي احتلهـا النورمانديون عام ١٠٩٠) تحت الحكم العربي المباشر (سلالة الأغالبة) ، واحتفظت بتاثير عربي مع الأكاديمية التي أسسها الملك روجيه الثاني ، ومع حركة ترجمة النصوص العلمية العربية الى اللاتينية (أو النصوص العربية الى اليونانية) . ومن جهة أخرى ، ومنذ القرن العاشر ، قدم جربير دورلياك ، الذي سيصبح البابا سيلفيستر الثاني فيما بعد ، الى اسبانيا ليتعلم العربية وليطلع على العلم العربي .

واطلع العالم اللاتيني ، من خلال الترجمات ، على العلوم المحفوظة في مكتبات طليطلة الكبرى . وشجـع اسقف هـذه المدينـة ، ريمون (من ١١٢٦ ــ ١١٥١) على ترجمة اعمال ارسطو الى اللاتينية بالتوازي مـع ترجمـة أعمـال المفـكرين العرب امثـال الفـارابي وابن سيـنا والغزالي الخ . .

ولا يبدو أن مدرسـة طليطلة للترجمة قـد شكلت كياناً حقيقياً وتقسيماً دقيقاً للعمل ، كما كان الحال في بيت الحكمة في بغداد ، بل شكلت حركة قوية للترجمة الى اللاتينية ، يعمل كل مترجم ، في إطارها، بشكل مستقل عن الآخر .

وهنا أيضاً ، لا يعني مصطلح « المدرسة » تأهيل المترجمين ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، رغم أن باستطاعتنا أن نتصور أن التأهيل انما يتم بشكل سريـع ، كما كان يحدث في بغداد ، وهناك تشابه هـام آخر ، ذلك أن عمل الترجمة كان يتم على مراحل ، وهذا يعني انه لم تكن تتم الترجمة بشكل مباشر من العربية الى اللاتينية ، بل إن الترجمة تتم أولاً نحو لغـة وسيطة ، قبـل الانتقال الى اللاتينية ، مما يذكر

بالمنهجيات التي طبقها حنين ومساعدوه الذين كانوا ينقلون من اليونانية الى السريانية قبل تقديم النسخة العربية . وقد لجأ دومينيك غونديسالغو ، أحد المترجمين المكثرين الى اللاتينية (١١٣٠ ــ ١١٧٠ م) الى طلب المساعدة من أحد الموراراب الذي يعرف العربية واللاتينية ، كي يترجم له شفوياً النص العربي الى اللاتينية ، وكان غونديسالفو يترجم ما يقوله الموراراب الى اللاتينية كتابة . لقد ترجم هذا الرجل بالطريقة الشفوية نفسها الغزالي وغيره . كما تأثر بهذه الترجمات باعتباره هو نفسه مؤلفاً ، ويمكن أن نذكر من بين مؤلفاته كتاباً عن المؤلفات الفلسفية العربية .

لقد ترجمت في تلك الفترة أعمال أرسطو التي تعالج الفلسفة المادية والميتافيزيكية و « السياسة » و « الأخلاق » و « الى نيكوماك » . واستخدمها رجال الدين المسيحيون ، مثل توما الإكويني والبير الكبير ، وأدخلوها ضمن قالب عقلاني الى الشريعة . واستعار توما الإكويني التمييز الأرسطي بين الجوهر والوجود ، بينما كان الرشديون اللاتينيون يثورون ضد هذا التفسير الإكويني .

وترجم جيرار دوكريمون ، الايطالي ، (١١١٤ ــ ١١٨٦ م) « قانون الطب » لابن سينا ، وقد أثر هذا الكتاب تأثيراً هائلاً في دراسة الطب في الغرب واستخدم في جامعتي اللوفان ومنبليه خلال قرون . كما ترجم « كتاب الشفاء » لابن سينا أيضاً ، وهو عبارة عن موسوعة فلسفية ، وقام بهذه الترجمة غدنويسالفو وحنا الاسباني . كما ترجمت موسوعة الرازي « الحاوي » أيضاً من قبل جيرار دوكريمون ، وعرفت أوربا من خلال هذه الترجمة اللاتينية نظريات حنين حول الطب الوقائي والمعالجة السنية .

وترجم جيرار دوكريمون ومارك الطليطلي وقسطنطين الأفريقي الى اللاتينية النسخ العربية لأعمال غاليان التي كان قد ترجمها حنين ومدرسته .

وترجم الفريد الانكليزي ، القرن الثالث عشر ، **كتاب النبا** لنقولا الدمشقي ، شارح أرسطو ـ الترجمة العربية لاسحق بن حنين وثابت ابن قره ـ **وفي النباتات** ، المؤلف المنسوب الى ارسطو والـذي نسبت ترجمته العربية الى اسحق بن حنين .

كما ترجم جيرار دوكريمون **المجسطي** لبطليموس **وعناصر اقليدس** الى اللاتينية ـ وكان قد ترجمها حنين بن اسحق وثابت بن قـره الـى العربية . كما ترجمت **العناصر** ايضاً من قبـل ابيلار دوباث في القـرن الحادي عشـر .

انطلاقاً من القرن الثالث عشر ، بدات الترجمات اللاتينية تتم عن الأصول اليونانية المتوفرة ، ويذكرنا هذا الأمر بجهود حنين ، الذي كان يبحث عن المخطوطات اليونانية ويعيد ترجمة النصوص التـي كان قـد ترجمها انطلاقاً من السريانية .

ولقد سمحت الترجمـات اللاتينية بالمحافظـة على الأساس ، أي الجوهر من مؤلفات العرب التي فقدت نسخها العربيـة . فقـد عرفت اسبانيا المسلمة في سلالة « آل محدث » في القرن الثاني عشر موجة من عدم التسامح بالنسـبة للفلسـفة ، ادت الى فقدان العديد من النصوص العربية . كذلك فعل مترجمو بغداد حين أعادوا بناء النصوص اليونانية التي فقد أصلها وبقيت ترجماتها العربية ، كما هو الحال مع بعض أعمال غاليان ، مثل كتاب « المبدأ » في ميتافيزيك ارسطو ، الذي ترجمه اسحق ابن حنين الى العربية .

* * *

القسم الثامن

مراقب : الجاحظ

لقد أثارت ضخامة الفعالية الترجمية في العصر العباسي ، والتي مثلها بخاصة انتاج حنين بن اسحق ومدرسته ، أفكاراً حول الترجمة سواء لدى الممارسين أنفسهم ، الذين واجهوا مشكلات الترجمة وصعوبات مهمتهم ، أو لدى المراقبين الخارجين ، أي غير المختصين الذين اهتموا بالترجمة لدرجة انهم قدموا أفكاراً حولها .

ونجد أن من المفيد أن تقابل بين نص يعالج الترجمة ، مأخوذ عن عمل هام من الأدب العربي كتبه معاصر لحنين ـ الجاحظ المتوفى عام ٨٦٨ م في كتابه الحيوان ـ مع الملاحظات التي قدمها حنين عن عمله الترجمي ومتطلبات الترجمة كما تبدى عبر سطور رسالته ، أو عبر هوامش تؤكد على اهمية تحليل النص والسعي الى مقاربة الواقع ومعرفة الموضوع من أجل بناء المضمون . وكذلك حول اهمية قارىء هذه الترجمات . وقد تكونت هذه الملاحظات من خلال تجربة حنين ومدرسته .

يضع الجاحظ ، دون أي تهاون ، في هذا النص الشروط الضرورية من أجل الوصول الى ترجمة « كافية » . ويقدم في الوقت نفسه مجموعة ملاحظات حصيفة جداً حول المظاهر التي تتعلق باللغة والتي تتمثل في امتلاك زمام اللغة أو لغات العمل والتداخلات اللغوية والتماثل أو عدمه بين لغة البداية ولغة الوصول .

وتظهر اهميــة الملاحظات التي كوّنها الجاحظ من أنه لم يترجم بنفسه عن اليونانية ، بل اهتم بالترجمات العربية التي تمت واستخدمها في اغلب الأحيان .

تثار مسألة معارف المترجم بشكل عــام ، على مستويين : مســتوى معرفة الموضوع : « علــى المترجم أن يعرف حقائق مذهب المؤلف الذي يترجمــه ». وعلى مستوى امتلاك لغة نص البداية : دقة الإيجاز ، ذلك أن الترجمة تمثل ممارسة اللغة والأفكار .

ماذا تعني **المعرفة** بالنسبة للمترجم ؟ هل هي المعرفة الإيجابية أم السلبية ؟ من المؤكد أن على المترجم أن يكون قادراً على شرح مداخلة جراحية او مرحلة صنع دون ان يكون ، مع ذلك ، قادراً على إجراء هذه العملية أو تلك . وإذا كان المترجم قادراً على معالجة موضوعات تتطلب دراستها سنوات ، فذلك لأن بإمكانه اكتساب معرفــة سلبية تسمح باستيعاب النص . ويبدو أن الجاحظ ضم الى معرفة الموضــوع إدراك المترجم لما يريد المؤلف قولــه ، فيما يتمثل دور الأول في تقليص الفرق الذي سيقوم حتماً بين ما يريد المؤلف قوله وفهم القارىء . إن هذين الوجهين للمعنى ، الموجودين بشكل ما ، في كل تواصل ، حتى لو كان أحادي اللغة ، يجعلان كل ترجمة تواصلاً .

لقد أشار الجاحظ أيضاً الى ظاهرة التداخل بين اللغات ، فكــل لغة تستعير من الأخرى تتجاذب أو تتعارض بشكل متبادل . ولا تنتج التداخلات دوماً عن معرفة مفراداتية غير كافية عن لغة الوصول أو عن فهم خاطىء لمضمون معنى البداية ، بل يمكن أن تكون ناجمة عن الجذب الشكلي لنص البداية .

وغالباً ما نجد في المصادر العربية مفهوم تخرب اللغة العربية عبــر احتكاكها باللغات الأخرى . ومن جهة أخرى ، فقد تبعت مرحلة الترجة وما نتج عنها من إغناء للغة أو تخريب ، في نظــر الصفائيين ، حركــة

تشدد سعت الى فصل الألفاظ العربية عن الألفاظ من أصـــل أجنبي . وقد ظهر موقف التشدد هذا ، مثلاً ، من خلال مؤلف ابن منظور الضخم «لسان العرب» في القرن الثامن الهجري ، وقد سعى المؤلف الى التمييز بين الألفاظ العربية الصرفة الموجودة في اللغـــة العربيـــة الكلاسيكية أو النصوص المقدسة ، والألفاظ الدخلية . والحقيقة إن الجاحظ قد أشار في مؤلف آخر الى مفهوم تخريب اللغة .

لم تعد هناك شكوى من التداخلات اللغوية حين تكون لغتان علـــى احتكاك دائم ، رغم ان هذه القضية تظل حاضرة بشكل ملفت . ولم يكن قلق الصفائيين والنحويين امام حماس المترجين وطالبي اعمال الترجمة غير مبرر بشكل كامل . وإذا كان النقـــل الى العربية قـــد نجح في تلافي الصعوبات التي تثار على مستوى المضـــمون والشكل ، فإنـــه يبقى أن المقابلات العربية التي قدمت لفعل الكون اليوناني لاتقدم التجريد نفسه .

تظل احتمالات التداخل اقل ، عموماً ، بين لغات متباعدة . وفي الوقت الراهن ، لا تثار هذه المسألة بالنسبة للترجمة نحو العربية التي يختلف صرفها ونحوها جداً عن لغات البداية مثل الفرنسية او الانكليزية ، وحيث جذب لغة البداية غير متوفر فعلاً ، إلا على مستوى نظم الكلمات في الجملة ، ربما ، أو في بعض الانزلاقات الدلالية نتيجة المحاكاة اللغوية .

ويمكننا أن نشير هنا الى التطور الذي تم على مستوى اللغة العربية ، بخاصة فيما يتعلق بنظم الكلام الذي يعيد نوعـــاً ما نظم كلمات اللغتين الانكليزية أو الفرنسية : اتباع الفاعل للفعل ثم المفعول . فهذا امر واضح جداً ، بخاصة على مستوى لغة الصحافة المكتوبة حيث يدخل عنصر ثان في السياق : إنه إبراز الفاعل . وفي الواقع ، اذا كانت العربية تنزع الى البدء بالفعل ، فإن الفاعل يأتي في بداية الكلام ، بشكل طبيعي حين نرغب في إبرازه .

ونجد المشكلات التي تثيرها التعددية اللغوية في بعض الأجواء العالمية، حيث تستخدم لغات عدة دون أن تسيطر إحداها على الأخريات ، وحيث تتأذى جميعها بشكل تبادلي ، فلا يمكن اعتبار إحداها لغة أولى ، إذ لكل منها مجال استخدامها . ويمكن أن نصف هذه الظاهرة بالتعريف المعدل الذي قدمه س. تيبري للثنائية اللغوية الحقيقية، من خلال القول إن هذه التعددية اللغوية الرديئة والضعيفة ناتجة ، بالنسبة لفرد ما ، عن انه لن يتبنى من أي من الجماعات اللغوية إلا من خلال الجهد المنظم والمثابر .

ويشير الجاحظ ، على المستوى اللغوي أيضا ، الى مشكلة أخرى بالنسبة للمترجم : ففي الواقع ، وفي إطار نظرية المعنى ، ندعو مشكلة مزيفة ، عدم التماثل بين لغات العمل . وهي تثار حين لا تكون الكفاءة اللغوية للمترجم متهمة ، بخاصة حين يكون علينا أن ننقل الى العربية نظاماً فلسفياً كاملاً ، وهو في حالنا هذا الفلسفة اليونانية مع مفرداتها الخاصة ومصطلحاتها ، التي لا توجد لها ، من حيث المبدأ ، مقابلات عربية . إن الحل الأكثر شيوعاً هو النقل الحرفي الى العربية مع تعديلات صوتية تسعى الى جعل الألفاظ اليونانية المستدانة ، مقبولة للآذان العربية . وهذا ما قام به المترجمون الأوائل ، كما رأينا . وربما أمكننا القول إن الترجمة من لغة غنية الى لغة فقيرة أكثر سهولة من العملية المعاكسة، ذلك أن مشكلة اختيار الألفاظ لا تثار ، ذلك الاختيار الذي يحرض مهارة المترجم .

ونجد أيضاً مفهوم احتمال خيانة لغة الانطلاق ــ الذي يرى الجاحظ أن علينا تجاوزه ــ في آراء مونتيه في كتابه « المحاولات

« غير أن أبي وجد ، صدفة ، قبل وفاته بعدة أيام ، هذا الكتاب « الشريعة الطبيعية » تحت كومة من الأوراق المهملة ، وطلب إلي أن أنقله الى الفرنسية . من المفيد أن نترجم كتاباً مثل هذا حيث ليس علينا سوى تقديم المضمون.

أما الكتاب الذين يعطون الكثير من الرشاقة والأناقة للغـة فمن الخطر ترجمتهم ، بخاصة حين ننقلهم الى لغة اضعف من لغتهم » .

إن ملاحظة الجاحظ حول ترانبية اللغات هذه تنضم الى النقاش حول تفوق ثقافة على ثقافة أخرى ، وهي في حالنا هذا تفوق الثقافة اليونانية . لقد كان هذا النقاش حامياً ، بخاصة ، في ملتقى الثقافات الذي مثله العراق في ذلك الزمان . وهذا ما نجده لدى الجاحظ وكتّاب متأخرين أكثر مثل التوحيدي (القرن العاشر) .

آ ـ الترجمة : معرفة اللغة والموضوع :

لقد وضع الجاحظ شرطاً أولياً : ان تكون معرفة المترجم للموضوع بمستوى معرفة كاتبه له ، وهذا ما يقوله بوضوح : « على المترجم أن يدرك الموضوع بقدر إدراك الكاتب له » .

ومن جهـة أخرى ، على المترجم أن يزول امام ترجمته وأن يكون مخلصاً للنص الأصلي ، ودون أن يؤثر ذلك في الترجمة . ولكن هل هناك ترجمة حيادية ؟ على المترجم ، حين يترجم ، أن يحلل النص المطلوب ترجمته كي يستطيع استخلاص معنـاه وأن ينقله الى اللغة الأخرى . وينطبق هذا الأمر ، على ما يبدو ، بشكل صحيح على النصوص الأدبية بالمقارنة مع النصوص ذات الطابع العملي والتي ليس لها مؤلف حقيقي ، ويبدو من الصعب على المترجم أن يكون **أميناً في ترجمتها لأن في ذلك زوال لشخصيته الفكرية الخاصة** . ولا يمكن للترجمة أن تكـون موضوعية بشكل دقيق ، ذلك أن المترجم يتدخل فيها بالضرورة باعتباره مترجماً . ويمكن أن نتبنى هنـا تعريف د. سيليكوفيتش التي ترى أن الترجمة / التفسير / ، تلك العملية الواحدة ذات الصيغ المختلفة هي نتاج فكرين: فكر المؤلف / الخطيب وفكر المترجم / المفسر :

« إن العرض التفسيري نتاج لفكرين : الأصيل ، أي فكر الخطيب ، والتفسيري ، أي فكر المفسر » .

إن طبيعة الموضوع ذات أهمية ، فكلما كان الموضوع صعب المنال ، كلما اثار تحليل النص مشكلات امام المترجم مما يجعل الترجمة اكثر صعوبة ، ويستدعى هذا الواقع كفاءة لغوية اكبر . لقد أدرك الجاحظ ان الترجمة ليست مسألة لغة فقط ، وأن المشكلات المثارة ليست من طبيعة شعرية وأسلوبية فقط .

يرى الجاحظ أن صعوبات الترجمة تختلف وفاقاً لنوع النص المطلوب ترجمته ، ويقابل النصوص التقنية أو العملية ، وفاقاً لمصطلح جان دوليل ، مع النصوص المقدسة التي يرتبط بها علم كامل وحيث ترتكب أكبر الأخطاء .

ويهتم الجاحظ بفهم النص المراد ترجمته ، وبإدراك المعنى انطلاقاً من المستند اللغوي ، أي الدلالات ، وكذلك انطلاقاً مما هو خارج الدلالات ، اي **المضمون الممكن أن تحمله الكلمات** والذي يطلق ثروة فكرية ليس من الضروري أن يمتلكها المترجم . ونجد هذا الإلحاح على معرفة أفكار المؤلف لدى الناشر ابن سوار ، الذي مررنا على ذكره ، والذي يعلن أن على المترجم كي يحسن الترجمة أن يتمثل الأفكار مثل من عبّر عنها ، إضافة الى فهم اللغة التي يترجم منها .

ب ـ هشاشة الكتابة ؛

إن تدخلات الناسخين وهشاشة الكتابة خارجة عن عملية الترجمة ، رغم أن من الممكن أن تعقد مهمة المترجمين والمحللين . ومع ذلك فقد كان لهذه الظاهرة اهميتها ، ويكفي أن نتذكر تهجمات حنين على المخطوطات المزيفة التي كان عليه أن يعمل عليها ، وكذلك تهجماته على التعديلات الإرادية وغير الإرادية التي ادخلها الناسخون على ترجماته بسبب

إهمالهم . إن هذه المشكلة غير موجودة في ايامنا هذه ، إلاّ ان ملاحظات الجاحظ تبقى حصيفة في عصر كان فيه النقد النصي عملية ضرورية ، عليها أن تسبق كل مشروع ترجمة . من المفيد أن نشير الى مقارنة قد تمت بين ما يمكن أن يلحقه ناسخ ، غير كفيء أو مهمل ، بالنص ، وما يمكن ان يدخله المترجم غير الكفيء على المعنى الذي أراده الكاتب : إنها خيانات متوازية بالنسبة للجاحظ : الترجمة خيانة !

نعيد فيما يلي احتجاج اندره جيد حول قرارات المراجعين (وترجع الى « الرسالة الى الطابعين » التي كتبها لاربو) والتي تدل على هشاشة الكتابـة :

« رأى مراسل لطيف ـ علم أن دار نشر NRF قد عزمت على إعادة نشر كتابي « تيفون » ـ أن من المناسب أن يشير الى بعض الأخطاء ، وانا ممتن له كثيراً ـ غير أن بعض هذه الأخطاء قـد ادهشتني : فهل كتبت فعـلاً ، وأي ضـلال هذا ! « : كانت ذقن السيد « رو » (ذئب البحر هذا) تهبط على صدره الصغير ، احياناً . وفق ما قرأ في الطبعات الأخيرة . لقد عدت الى الطبعات الأولى تلك التي راجعتها بنفسي فلم اجد كلمة « صغير » فيها . لقد اضيف إذن دون علمي من قبل عمال صف الأحرف اثناء الطباعة » .

نستطيع القول عموماً أن الاعتراضات والصعوبات التي قال بهـا الجاحظ خارجة عن الترجمة ، ومن البديهي أن تكون غاية المؤلف كامنة وراء هذا الموقف . إن هذا الاتهام الذي يبدو أن الجاحظ يوجهه للترجمة والمتطلبات التي يلح عليها في كل ترجمة ـ أي الامتلاك المتوازي والتام للغتي العمل : يجب ان تكون معارف المترجم من مستوى معارف الكاتب، الإخلاص غير المشروط لفكر الكاتب ـ إنما تعبر عن قلق صفائي لغوي مدرك لقدرة الكلام ومنبه قرّاءه الى مساوىء اللغة وافخاخها .

إذا كانت مسألة امتلاك اللغة تثار ، بشكل خاص ، بالنسبة للعربية ، لغة الوصول التي لم تكن دوماً اللغة الأم للمترجمين ـ يذكر الجاحظ مترجمين من الجيل الأول كانوا ضعفاء بالعربية وتنطبق عليهم الانتقادات المتعلقة بمعرفة الكلمات ـ فإن مسألة معرفة موضوع النص تثير الدهشة ذلك أن المترجمين كانوا في الغالب اخصائيين في المجال الذي يترجمون فيه . وانطلاقاً من أن الأسماء التي يذكرها الجاحظ إنما تعود الى أوائل المترجمين الى العربية ، يبقى صحيحاً أن الانتقادات والتحذيرات التي عبر عنها صاحب **كتاب الحيوان** تتوجه الى معاصريه .

يقدم « بدوي » فرضيتين يوضح من خلالهما أن حنيناً والمترجمين الذين كانوا في كنفه ومدرسته لم يكونوا معنيين بما ذكره الجاحظ .

ـ ربما كتب الجاحظ الجزء الأول من **كتاب الحيوان** قبل أن يقدم حنين أفضل ترجماته .

ـ إن هذا المقطع سابق للعصر الذي اكتسب فيه حنين شهرة منينة في الترجمة .

ونعتمد الفرضية الأولى . ويبدو من المفيد هنا أن نشير الى أن الجاحظ ، ذلك الملاحظ الخارجي ، الذي لم يكن هو نفسه مترجماً ، قد شكل جزءاً من المحيط الفكري الذي ترعرع فيه حنين . ومثل حنين ، أدخل الجاحظ الى البلاط ، وقرأ الخلفاء مؤلفاته ، بخاصة المأمون وامتلأت كتاباته بالنوادر المتعلقة بكبار رجال البلاط .

جـ ـ عدم قابلية النصوص المقدسة للترجمة :

لقد اهتم الجاحظ بالترجمة عن اليونانية . ويعود هذا الأمر ، في جزء منه ، الى الفضول الفكري الكبير الذي كان يحمله إضافة الى كونه من أنصار حركة المعتزلة ، إذ كان يتردد على النظّام احد رؤساء هذه

الحركة ، وإذا كانت الشروط التي وضعها الجاحظ من اجل الترجمة تنطبق على النصوص **التقنية** مثل علوم الفيزياء أو الفلسفة ، فإن معيار عدم قابلية النصوص المقدسة للترجمة يتدخل هنا . ويبدو ان الجاحظ أراد أن يبرهن على عدم قابلية الكتاب المقدس للترجمة ، حيث يأخذ الخطأ فيه أهمية خاصة . وتقف وراء هذه التحفظات مسألة شرعية وفلسفية . ويلفت « بـدوي » الى أن هذه التخوفات قـد أثيرت لأن المعتزلة ، الذين رفضوا الإيمان الأعمى ، قد فكروا في ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة للجماعة الإسلامية . وقد اراد الجاحظ الوقوف في وجه هذه الحركة نتيجة التزامه بالدفاع عن اللغـة العربية ضد الحركات الشعوبية ، بخاصة الفارسية ، وضد إدخال الفلسفة اليونانية .

لنتذكر المشكلات التي اثارهـا القديس جيروم نتيجـة ترجمـة **الكتابات المقدسة** حيث لا يقبل الخطأ : إذ لا يمكن تزييف او تحريف الكلام الإلهي ، إنها مسألة شرعية : هل بالإمكان ترجمة كلام الله الموحى باللغة العربية حين تشمل الرسالة مضمون الوحي وشكله ؟

يرى الجاحظ ان المشكلة تقع على مستوى الفقه : ذلك انهينتج عن اي ضعف في الفهم او اي تفسير خاطىء نتائج خطيرة ، ويؤكد أن الخطأ في مجال الدين اخطر من الخطأ في مجال الرياضيات والسيمياء او الفلسـفة .

ومن ترجمات القديس جيروم للتوراة حيث احترم نظم الكلمات الى محاولات لوثر الذي سعى الى جعل العهد القديم قريباً من القارىء ، ادت ترجمة النصوص المقدسة الى تفكير نظري عميق نجده في أعمـال كتاب معاصرين مثل نيدا وتابر الذين أدخلا مفهوم علم اللغة الاجتماعي في الترجمة ، بخاصة فيما يتعلق بالمتلقي . فقد اعدت قوائم أفضليـة بالنسبة للقـرّاء : المتلقون غـير المسيحيين / المسيحيون ، الشباب الراشدون / الشيوخ والأطفال ، النساء / الرجال ، ونجد أيضاً لدى

هؤلاء الكتّاب إشارة حول مواقف احترام اليونانية والعبرية واللغات المقدسة التي لا تمس .

ومن المفيد ان نشير الى أن الجاحظ قد استخدم هذه الترجمات من اليونانية ، واستقى بفضلها من الارث اليوناني القديم ، ونجد في مؤلفاته العديد من الأمثال المنسوبة إلى الفلاسفة اليونانيين ، بخاصة الأمثال المأخوذة عن كتاب الحيوان لأرسطو والذي ترجمه الى العربية ابن البطريق ثم أبو علي بن زراعه ، إضافة الى تواتر في الموضوعات المستخدمة .

لا شك أن الجاحظ قد عدّل عدداً من النسخ العربية من حيث الشكل وبلغة عربية اجاد استخدامها . وكان يقدم هذه الترجمات معتذراً لدى القارىء عن الإساءات للأصل التي أحلتها المترجم .

ويمكننا ان نختتم هذا التحليل للفقرة المأخوذة من **كتاب الحيوان** من خلال ذكر ابن خلكان الذي أوضح انه لو غابت جهود التعريب ، ربما لم يستطيع احد الاستفادة من هذه الكتب دون معرفة مسبقة باللغة اليونانية .

* * *

خاتمة

لقد دفعتنا دراسة مدرسة حنين ـ التي اردنا أن نضعها في منظور الترجمة مع التركيز على أهميتها في خلق تيار فكري ـ الى استنتاجات حول الموضوعات التالية : طبيعة القضايا التي تثيرها فعالية هذه المدرسة وتأثير هذه القضايا او المشكلات على ممارسة الترجمة من جهة ، والفرق القائم بين نظرية الترجمة وممارستها ، من جهة أخرى .

وإذا كانت مسائل مثل هشاشة الكتابة التي تظهر التعديلات الارادية وغير الارادية التي قام بها النساخون على المخطوطات ، أو قابلية النصوص المقدسة للترجمة ، والتي اعترض عليها كاتب مثل الجاحظ ، إذا كانت مثل هذه المسائل والقضايا وتلك يمكن أن تستبعد لأنها لم تعد مثارة في أيامنا هذه ـ تتمثل المشكلة في ترجمة النصوص الدينية اليوم في عدم المساس بالكلام الالهي وليس في قبول القارىء / المتلقي لها ـ فان معظم القضايا التي أثارها مترجمو مدرسة حنين بن اسحق في اعمالهم تبقى سديدة وحاضرة بشكل ملفت .

وتثار مسألة المعرفة سواء على مستوى اللغة أو مستوى الموضوع . إنها المعارف اللغوية السلبية من اجل فهم لغة البداية ، اليونانية أو السريانية في حالنا هذا ، وكذلك ايضاً على مستوى لغة الوصول ، العربية عموماً . لقد رأينا أن الكفاءة اللغوية للمترجمين ، مثل حنين واسحق وحبيش ، قد أكدت من قبل المؤرخين جميعاً ، ولقد شكا حنين نفسه من نكران بعض الطالبين ، مركزاً على نوعية الترجمة التي قام بها وامتلاكه لناصية اللغة العربية .

ويشير الجاحظ ، في المقطع الذي حللناه فيما سبق ، الى اهميـة الكفاءة اللغوية للمترجم في عملية الترجمـة ، سواء على مستوى لغـة البداية وفهمها او على مستوى نقل البلاغ ، معتمداً على التعامل مع لغة الوصول . ويرى الجاحظ ان على المترجم **أن يعرف جيداً اللغة التي يترجمها واللغة التي يترجم إليها** . ونجد مثل هذا الالحاح لدى حسن بن سوار ، ناشر النص العربي لارغانون ارسطو . كما هو محفوظ في المكتبة الوطنية في باريس ، والذي يقول إن على **المترجم أن يفهم جيداً اللغة التي يترجم منها** ، وعليه **أيضا أن يعرف جيداً استخدام اللغـة التي يترجم منها واستخدام اللغة التي يترجم إليها** . وبعد عدة قرون ، يقول إيتين دولي « إن على المترجم أن يحوز على معرفة تامة باللغتين » .

ومع ذلك ، فإن معرفة اللغـة أو بدقة اكثر معرفة لغـات العمل لا تكفي . لذلك فقد اعتقد مترجمو بغـداد بسلمة مترجمي العصور القديمة الذين رأوا « ان ليس المطلوب ان تقول ما تقوله الكلمات بل أن تقول ما تريد قوله الكلمات » (شيشرون ١٠٦ ـ ٤٣ ق.م) ، كما وعى هؤلاء المترجمون ضرورة المعرفة التي تتجاوز الكفاءة اللغوية ، وتسمح بادراك مضمون النص الذي يتجاوز المسند اللغوي ، لقـد وصل الأمر بالجاحظ الى طلب أن يمتلك المترجم **علم المؤلف الذي يترجمه** ، وذلك في انتقاداته لترجمات عصره . ولقد رأينا ان ضعف ترجمات حنين **لعناصر اقليدس ولمجسطي بطليموس** ، بالمقارنة مع الترجمات الأخرى ، انما يعود الى نقص معرفته في المجالات التي تعود إليها هذه المؤلفات . ويشير منظرو الترجمة في أيامنا هذه الى المشكلات نفسها .

وتتمتع المعرفة السلبية للموضوع بالأهمية ذاتها التي تتمتع بها في أيامنا هذه المعلومات الهائلة والتخصص الدقيق والمحدد . وتتأكد مسألة التوثيق باعتباره مهمة أساسية لمترجم النصوص العملية ، ولقد كانت معرفة الموضوع أحد الشروط اللازمة لدى حنين بن اسحق ومساعديه ، وتحقق هذا الشرط في اغلب الأحيان ، ذلك لأن المترجمين كانوا في معظمهم

مختصين في المجالات التي يترجمون فيها ولأن النصوص كانت تخضع لعملية تحليل يتم غالباً على شكل شرح وتلخيص يرافق الترجمة .

نجد هنا الشروط الأولية لكل ترجمة حقيقية : معرفة اللغة والموضوع ، معرفة لغوية وغير لغوية أيضاً ، تشكل جزءاً من قاعدة فكرية ، ثم بعض المهارة التي تتجلى في خاصية إعادة التعبير عن مضمون نص البداية في نص الوصول . ويبدو أن هذه المهارة لم تثر دوماً تفكير المترجمين ، وأن شروط هذه الفعالية التي تمثلها الترجمة قد اقتصرت على المعارف اللغوية والموسوعية ــ ونعيد هنا الى معايير الترجمة التي قسمها جان دوليل وفق التالي : الكفاءة اللغوية ، الكفاءة الموسوعية ، كفاءة الفهم ، وأخيراً كفاءة إعادة التعبير ــ رغم أن رسالة حنين تلمح الى نوع من التدريب . سنتحدث فيما بعد عن فقدان هذا التنظير على مستوى المهارة .

ويتدخل عنصر آخر في إطار العملية الترجمية أيضاً الح عليه مترجمو بغداد ، والذي يبدو لنا معاصراً . ويتمثل هذا العنصر في الأهمية التي تمنح للمتلقي باعتباره عنصراً حاسماً في الترجمة ، سواء كان هذا المتلقي زميلاً قاسياً وناقداً او غير مختص يعتبر فهم النص في الترجمة مسالة اساسية .

تسعى ترجمة النصوص الدينية ــ التي يمارسها في ايامنا هذه نيدا وتابر ، والتي وضع المؤلفون قواعدها وكذلك الترجمة المحترفة للنصوص العملية او الوظيفية ــ بشكل اساسي الى تسهيل قبول النص وجعله واضحاً ومفهوماً من المتلقي ، دون أن تتبنى موقف حنين بن اسحق الذي كان يعدل ترجمته حين يوشك المضمون ان يصدم حساسية القراء . ومن هنا تنبثق اهمية لغة الوصول وتعديلات الترجمة كي تتوافق مع حساسيات كل عصر . ويلفت هذا الأمر بشكل خاص على مستوى

الترجمة الادبية ، ذلك انـه ، وكما يقول كاري بحـق : **لقد حكم على المترجم بأن يعمل دوماً من اجل جمهور وبشكل منسجم معه ، وهو يعرف مسبقاً ان عمله قصير العمر ، إذ لا تشيخ سوى الأعمال الأصلية ، فيما تمضي الترجمات ويحل بعضها محل الآخر .**

ويتدخل هنـا هم" الاقتراب من القـارىء دون تأثير على النص الأصيل ، تلك المشكلة الدائمة بالنسبة للمترجم ومنظر الترجمة ، أي ذلك التوازن الذي تجب المحافظة عليه بين الأمانة تجاه الأصل والهدف ، أي قبول القارىء المتلقي .

ما ان تحدد معايير الترجمة ــ الكفاءة اللغوية ، معرفة الموضوع ، اخذ المتلقي بالاعتبار ، مهارة المترجم ــ حتى نلاحظ أن عدم القابليـة للترجمة ــ التي يتكرر الحديث عنها كثيراً ــ لم تأخذ ، فعلياً ، حيّزاً من تفكير المترجمين والملاحظين في عصر حنين بن اسحق ، وأنه حين نواجه صعوبات في الترجمة أو حين تبدو الترجمة مستحيلة ، يعزى السبب الى نقص في معرفة الموضوع أو الى وجود حواجز لغوية مثل النقص على مستوى اللغة او على مستوى المهارة . وتلك مشكلات يمكن تصنيفها باعتبارها غير حقيقية بالنسبة للترجمة ، مثل غياب التماثل بين لغتين . وتظل الترجمة ممكنة كما الاتصال ، ما أن يتم رفع المعوقات التي تمثلها اللغة . ومن حيث المبدأ ، لا يرشح ، من النص النقدي للجاحظ حول الترجمة ، مفهوم استحالة هذه العملية ، بل تبرز مجموعة متطلبات لغوية أو فكرية / موسنوعية موجهـة الى المترجمين باستثناء قابليـة الكتاب المقدس للترجمة .

يلتقي عدم تأثير **المشكلات النظرية للترجمة** على ممارستها العملية مع الفرق الملفت جداً على مستوى مدرسة حنين بن اسحق والقائم بين الممارسة والنظرية ، تلك النظرية التي تأخرت دوماً عن الممارسة . من البديهي أن على كل نظرية أن تعتمد على وقائع تسعى لتوضيحها فيما بعد ، ذلك أن **الوقائع اكثر اهمية من النظريات** . فمعرفة النظريـات

لا تكون مفيدة إلا حين تعلمنا ان نرى الوقائع بشكل جيد وأن على نظرية الترجمة ألا ترتبط بوجود الترجمة باعتبارها فعالية .

يبقى صحيحاً ان التفكير حول فعالية الترجمة كان فقيراً بالمقارنة مع انتاج مدرسة حنين ، إذا لم تكون اية نظرية ، وكل مانستطيع أن نستنتجه من هذه الدراسة هو مجموعة مفاهيم وبعض المبادىء للترجمة، إذ اعتبرت الترجمة عملية تتجاوز النقل وتتطلب عناصر غير لغوية وبعض التأهيل والمهارة غير المحددة .

في الواقع ، إن ملاحظات حنين حول عمله وحول متطلبات الترجمة وكذلك ملاحظات المراقبين مثل المؤرخين والمؤلفين ، أو بشكل أعمق ملاحظات رجل أدب مثل الجاحظ تتضافر باعتبارها افكاراً مناسبة حول الممارسة العملية للترجمة لا يمكن إلا ان تثير الاهتمام وتوقظ الفضول بسبب أهميتها والمعارف الجديدة التي حملتها . ومن جهة اخرى ، يفسر غياب الأسس النظرية هنا لماذا لم تكن مدرسة حنين مركزاً تعليمياً بالمعنى الواضح للكلمة .مما لاشك فيه أن المترجمين قد تعلموا الترجمة من خلال عملية تأهيل ميدانالة لاتسمح بالتأكيد بوجود تعليم للترجمة يقدم للمترجمين ، بل نستطيع الحديث عن منهجية للترجمة وضعت على شكل **وصفات** تطبق او مهارة تبقى مع ذلك تجريبية، ذلك أن المشكلات كانت تعالج بشكل عملي . وكما يقول ذلك جان دوليل في كتابه المشار إليه سابقاً : على كل تعليم للترجمة أن يقوم على حد أدنى من النظرية ، ولا يمكن التأخر ظهور نظرية الترجمة على ممارستها أن يؤدي إلا إلى التأخر في تعليم الترجمة ، تلك الظاهرة التي تتبدى عبر التجديد الذي يمثله حتى أيامنا هذه تعليم للترجمة يتعارض مع تعليم اللغات وحيث تشكل الترجمة وسيلة تربوية ، وكذلك عبر الشك الذي يثيره هذا التعليم لدى البعض

ونود اختتام دراستنا بالاشارة الى استمرار مشكلات الترجمة التي اثارتها مدرسة حنين حتى أيامنا هذه . إن مدرسة بغداد قريبة منا ، ذلك أنه في ظل غياب نظرية ترجمية ، تكون وعي عميق لما تمثله

العملية الترجمية . إنه التعبير عن مضمون نص وليس إقامة تقابلات لغوية . ولا تعني المشكلات التي يصادفها المترجمون بأي شكل من الأشكال ، استحالة الترجمة كما أن هذا النشاط ينمو يوماً بعد يوم ، ويتأكد دوره الأساسي اكثر فأكثر ، ليس على مستوى التواصل بين مختلف الجماعات اللغوية فقط بل من اجل البقاء الثقافي لمعظم هذه الجماعات .

اما فيما يتعلق بالظاهرة الحالية للترجمة نحو العربية ، فتزداد اهمية هذه الظاهرة ليس من أجل الدخول أكثر إلى التقنيات الأجنبية فقط ، والتي يتم التعبير عنها في أغلبيتها باللغة الانكليزية ، بل من أجل جهود تبسيط كبيرة سواء على مستوى الكتابة أو القواعد النحوية ، وذلك كي تتجاوز اللغة العربية المجال الأدبي والموسوعي بالمعنى الواسع للكلمة كي نجعل منها وسيلة سهلة التناول ومن المؤسف الا يستغل هذا التبسيط . تفرض الترجمة في مجالات التقانات الجديدة والاختصاصية ـ حين لا نملك مبدئياً مصطلحات معتمدة ـ بالضرورة استغلال غنى لغة الوصول وتتطلب العودة الى المصادر المنسية أحياناً والكامنة في تلك اللغة . وهذا ما يؤدي بالنتيجة الى اغناء هذه اللغة .

من الاسفاف أن نشير اليوم الى اهمية الترجمة في تقدم الحضارات، تلك الظاهرة التي أبرزتها مدرسة حنين بشكل رائع . لا تبدو الترجمة بالنسبة لهذه المدرسة وسيلة فقط ، اي عملية نقل مع كل تعقيد النقل الفكري الذي تتطلبه والذي يتمثل في نقل معلومات علمية من لغة إلى أخرى ومن جماعة الى اخرى ، بل باعتبارها نقطة انطلاق لتفكير علمي وثقافي أثاره تحليل النصوص الذي يعتبر المرحلة التكاملية لعملية الترجمة التي ستسهم في تكوين نظام فكري عربي إسلامي من خلال الترجمات اللاحقة التي أدت إلى توافقات لغوية مختلفة بين اللغتين العربية واللاتينية والى تحليلات جديدة أضيفت الى النظام الفلسفي والعملي لغرب العصر الوسيط

الفهرس

٢٥٠٠ ط ١ / ٦ / ١٩٦٨

تجد في هذا الكتاب الأسئلة التي تتطرحها علينا اليوم الترجمة ومشكلاتها مما يدل على أن هذه المشكلات تكاد تكون من كل مكان ومن كل زمان.

ومما يسترعي الانتباه هو اعتقاد العرب القدامى ان الترجمة، في مفهومها الأصح والأعمق هي اعادة ابداع النص، على الخصوص اذا كان الاصل ينتمي الى حضارة ويختلف بيانها جذرياً في البيان العربي. وترتد مسألة المصطلح. من هذا المنظور، إلى المرتبة الثانية. الترجمة بقول أدق عبارة ونص أو (كل) قبل أن تكون مفردات. لقد ركز مؤلف كتابنا هذا على مدرسة حنين ابن اسحق التي ازدهرت في عصر المأمون. ولكنه حاول في الوقت ذاته أن يلقي نظرة شاملة على حركة العرب القدامى الممتدة على ثلاثة قرون واكثر. فقدم لائحة جيدة عن المترجمين وعن النصوص اليونانية التي ترجمت بالاضافة الى كتب الطب والعلوم. ومن المؤسف انه لم يبق من تلك النصوص المترجمة الا كتب أرسطو وبعض كتب اخرى من الافلاطونية الحديثة او تلخيصاً لبعض الكتب المترجمة.

الاهم والاخطر شأناً هو ان اغلب النصوص المترجمة ترجمت بناء على طلب الخلفاء، وبالدرجة الأولى الخليفة المأمون وانهم كانوا يتصلون اذا لزم الامر، بأباطرة بيزنطة رغم العداء المستحكم بين الفريقين ليزودوهم بالنصوص اليونانية التي تعوزهم. مما يدل على ان مستواهم الثقافي كان شمولياً كمستواهم السياسي. وهذا مامكنهم من ان يشيدوا حضارة عالمية ماتزال حتى اليوم تمد العالم بنتاجها العلمي والفكري.

وفي هذا عبرة لمن يعتبر اذا كان بعد ثمة من يعتبر.

طُبعَ في مَطَابِع وزَارَة الثَّقَافَة

دِمَشق ١٩٩٨

سعر النُسخة داخل القُطر

٧٥ ل.س

في الأقطار العربية مايعادل

١٥٠ ل.س